الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: M201535102429

المسيحيــون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بـالسلطة والمجتمع خلال العهد العثماني

(1518م -1830م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص في تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830م

إعداد الطالبة: عطيت الله راضية

إشراف الدكتورة: صالحي منى

لجنة المناقشة			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
والي إبراهيم الخليل	أستاذ محاضر-أ-	المسيلة	رئيسا
منى صالحي	أستاذ محاضر-أ-	المسيلة	مشرفا ومقررا
بوقزولة عبد الملك	أستاذ محاضر-ب-	المسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعة: 1441-1442هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله حمدا لن نستوفيه مهما حمدناه والشكر لله شكرا لم نبلغه مهما شكرناه

أهدي عصارة جهدي وعملي المتواضع إلى من قال فيهما الرحمان" وبالوالدين إحسانا"

إلى بؤرة النور التي عبرت بي نحو الأمل والآمان الجميلة إلى من علمني أن نعيش من أجل الحق والعلم لنظل أحياء مهما فارقت أرواحنا أجسادنا ولطالما تفطر قلبه شوقاً وحنت عيناه الوضاءتان لرؤيتي متقلدة شهادة الماستر وها الآن قد أينعت لأقدمها لك والدي الحبيب، فقد أرضاني الله فيك يا والدي فهل لا رضيت عني.

إلى من تمتهن الحب وتغزل الأمل في قلبي، إلى التي كانت دعواتها عنوان دربي ويدها في يدي تمنحني الراحة وتبعد التعب والألم عن قلبي إلى التي بفضلها تقدم عملي درجات لكي يا أمي يا سيدة القلب والحياة، أهديك رسالتي لتهديني الرضا والدعاء.

إلى شريك حياة ورفيق دربي الذي صبر عليا شهورا كنت معتكفة على البحث والدراسة زوجي

إلى أعز رجل بعد أبي أخي لطفي وإلى أولاده بلال أحمد الأمين.عبد الكريم.حنان.

إلى أعز امرأة بعد أمي أختي دلال وإلى زوجها زهر الدين وأولادهما ياسين.محمد.آدم.أيهم رفيق

إلى من رحلوا دون وداع وتفجرت العين بالبكاء ادعوا لهما الرحمان بالرحمة والغفران حنان.جمال.بلال

إلى شموع المنزل التي أنارت البيت والبراءة والبسمة التي مسحت الدموع أميرة.جمال

إلى أعز صديقاتي في الحياة إيمان.منى.سميرة

إلى من وسعهما قلبي ولم يكتبهما قلمي

أهدي هذا العمل

شكر وعرفان

قال سبحانه وتعالى:"ربِّ أَوزَعنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ"

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

الحمد لله الذي هدانا ونور طريقنا وجعل النجاح حليفنا والعقل ميزان لنا: الشكر لله أولاً وحده لا شريك له ثم أتقدم بالشكر الجزيل عرفاناً وتقديراً إلى الأستاذة الفاضلة المشرفة على هذا العمل "صالحي منى" لما بذلته من جهد متواصل دون ملل أو كلل وما أمدتني من نصائح وتوجيهات وتصويبات التي كان لها الفضل الكبير في هذا العمل ولو بكلمة طيبة

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أقدم شكري لكل الأساتذة الذين ساعدوني في البحث وأخص بالذكر الأستاذة برابح عفاف

أشكر عمال مكتبة قسم التاريخ

ولكل من ساعدني على البحث سواء من قريب أو من بعيد.

_قائمة المختصرات:

_إع: إعداد.

_تر: ترجمة.

_تح: تحقيق.

_تد، ل: تدقيق لغوي.

_تق: تقديم.

_تع: تعليق.

_تعر: تعريب.

_ج: الجزء.

_در: دراسة.

_د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

_ش.ت.ف.ر: الشركة التونسية لفنون الرسم.

_ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

_ط: الطبعة.

_ع: العدد.

_مج: المجلد.

_م.و.إ.ن.ت: المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والتوزيع.

_م.و.ف.م: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

_م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

_م.م.و.م: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

_م.و.ن.ت: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.

_م.و.ث: منشورات وزارة الثقافة.

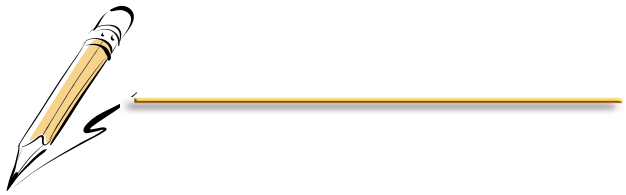

مقـــــــدمة

التعريف بالموضوع:

بعد أن اتخذ العثمانيون مدينة الجزائر عاصمة للإيالة عرفت توافد عدد كبير من العناصر الأوروبية، وأصبحت تمثل وعاء للعناصر البشرية المتنوعة، الذين أتوا إما بحثاً عن لقمة العيش، أو هروباً من الأوضاع السياسية السائدة في بلدانهم، أو كأسرى الجهاد البحري التي كان يقوم بها الحكام والبحارة العثمانيون. من أهم الفئات التي عرفتها مدينة الجزائر فئة المسيحيين، والتي أصبحت تمثل مصدر قلق لدى الدولة الجزائرية، نتيجة لاحتكاكها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية... وهذا ما أعطى أهمية تاريخية لهذه الفئة تستوجب الدراسة، وهدفنا من الدراسة هو تبيان طريقة تعامل وتعايش المسيحيين المختلفي الديانة والجنس مع الجزائريين وحكامهم العثمانيون.

اخترت فترة الدراسة (1518–1830م) وهي فترة الحكم العثماني في الجزائر، والمتميزة عما قبلها وعما بعدها، فقبلها لم تعرف توافدا كبيرا للمسيحيين، أما بعد الفترة العثمانية فكان الحكم الفرنسي المسيحي للجزائر، إن فترة الدراسة التي طالت حوالي ثلاثة قرون ساعدتني على فهم ومعرفة الفئة المسيحية، ومدى تزايدها وتناقصها، التي كانت تتحكم فيها طبيعة العلاقات الجزائرية الأوروبية. كما يتبين لي كيفية تعايش الفئة المسيحية داخل مجتمع مدينة الجزائر.

اختياري لمدينة الجزائر عن غيرها من المدن الساحلية، كونها عاصمة الإيالة، ولأنها مدينة ساحلية بحرية مطلة على البحر المتوسط، يسهل التواصل بينها وبين الدول الأوروبية، التي تربط بينهم علاقات ودية وأخرى عدائية. فالدراسة محدودة جغرافياً مما يجعلها تختلف عن الدراسات الأكاديمية الأخرى. ومن هنا حددت عنوان البحث:" **المسيحيون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بالسلطة والمجتمع خلال العهد العثماني (1518–1830م)**".

ويمكنني طرح الإشكالية سأدرس في بحثي علاقة تأثير وتأثر المسيحيين بالسلطة والمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني. هل أثر تواجد المسيحين بمدينة الجزائر سلبًا أم إيجابًا على السلطة والمجتمع؟ وما هي أثار معاملة السلطة والمجتمع الجزائري على المسيحين؟ وتتفرع عنها تساؤلات:

- كيف كانت حياة المسيحيين الاجتماعية داخل مدينة الجزائر العثمانية؟
- كيف كانت علاقتهم بالسلطة؟ وماذا نتج عنها؟

– إلى أي مدى وصل التأثير والتأثر بين الفئة المسيحية والمجتمع الجزائري؟

أسباب اختبار الموضوع:

ترجع أسباب دراستي للموضوع إلى رغبتي في دراسة تاريخ الجزائر العثماني. واهتمامي بالدراسات الاجتماعية، وكذلك رغبتي في معرفة نوعية العلاقة القائمة بين الفئات الاجتماعية الجزائرية والمسيحية.

أهمية الموضوع كونه من المواضيع الحساسة خاصة في المجال السياسي. وتبيين مدى تعايش المجتمعين في ظل الاختلاف الديني والعرقي.

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت على عدة مناهج، بداية بالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي، لأنه المناسب لطبيعة الموضوع إذ وصفت فيه الحياة الاجتماعية للمسحيين داخل مدينة الجزائر العثمانية من أحداث ووقائع. كما تخلله المنهج المقارن الذي يعتمد على التحليل والتعليل، وتجلى بصفة رسمية في المقارنة بين المسيحيين والمسلمين في طريقة التأثير والتأثر في المجالات المختلفة.

المصادر والمراجع:

اعتمدت على جملة من المصادر، إذ نجد مصادر بالعربية تتكلم عنه بشكل جزئي. على عكس المصادر الأجنبية التي تطرح كل التفاصيل. فمثلاً المصادر: جيمس لندر كاثكارث، **مذكرات أسير الداى كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب**. وكتاب، وليم شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816–1824م)**. كما نجد *Don Diego De Heado, **Topographie et histoire général d'Alger,***

أما المراجع فقد اعتمدت على: جون ب.وولف، **الجزائر وأوروبا**. اعميراوي احميدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني_مذكرات تيدنا انوذجاً_**. وكذلك كتاب، جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500–1830م)**.

الدراسات السابقة:

إن وجود دراسات سابقة لهذا الموضوع جعل من السهل عليا الخوض في غماره، وفهم حياة المسيحيين في مدينة الجزائر العثمانية (1519–1830م)، إذ ساهمت بشكل كبير مثل: رسالة خديجة حالة، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700–1830م)**. كما توفرت لي دراسة، لكن لها الفضل الكبير في فهم الموضوع. مثل دراسة حفيظة خشمون، **مهام مفتدي الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671–1830م)**.

خطة الدراسة:

عند اطلاعي على المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع. قسمت موضوعي هذا إلى مدخل وثلاثة فصول: تناولت في المدخل أهمية مدينة الجزائر خلال العهد العثماني الذي تناول الموقع الاستراتيجي لمدينة الجزائر وتركيبتها الاجتماعية في تلك الفترة.

جاء الفصل الأول تحت عنوان المسيحيون وحياتهم الاجتماعية لمدينة الجزائر، بيّنت فيه الفئة المسيحية وحياتهم الاجتماعية. كما وضح مرافق إقامتهم. أما الفصل الثاني المعنون بعلاقة المسيحيين بالسلطة خلال العهد العثماني فقد أدرجت فيه علاقة المسيحيين بالحكام وتوليهم الوظائف الحكومية كالجيش، كما بينت عملية الجوسسة والتمثيل الدبلوماسي. تلاه الفصل الثالث بعنوان علاقة المسيحيين بمجتمع الجزائر العثمانية، الذي درس مسألة التأثير والتأثر، لتبيين مدى تعايش الفئة المسيحية مع المجتمع واحتكاكهما بهم سواء من حيث الثقافة أو العادات والتقاليد، كما تناول هذا الفصل مدى مساهمة المسيحيين في المجال الاقتصادي.

ثم ختمت هذا البحث بخاتمة تتضمن جملة من الاستنتاجات حول الموضوع، مرفقة بملاحق للتوضيح.

صعوبات الدراسة:

كأي بحث أكاديمي لا يخلو من صعوبات واجهتني أثناء عملية جمع طياته، فمن بين الصعوبات نذكر: الظروف التي تعيشها البلاد فيروس كوفيد 19 الذي رافقه الحجر لمدة طويلة، إذ انعكس سلباً على سير العمل من تنقل بين المكتبات والجامعات، ووصل الأمر بي الاعتماد على المكتبات والكتب الالكترونية.

-الموضوع المدروس هو "المسيحيون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بالسلطة والمجتمع خلال العهد العثماني (1519-1830م). وبما أن الموضوع متعلق بالمسيحيين الذين يتشكلون من أجناس مختلفة من الدول الأوروبية من فرنسا وإنجلترا وهولندا...نتج عنه وجود مصادر متنوعة وبلغات متعددة. أدى بي لعدم قدرتي على التعامل مع هذه المصادر إلا فيما يخص المصادر الفرنسية.

-عدم تناول المصادر العربية الموضوع بشكل كلي.

وأخيرا أملي من الله العلي القدير أن يكون قد وفقني في دراسة هذا الموضوع، وأن ينفع به الدراسين، وينال تقدير المطلعين عليه، والانتفاع به.

المدخل

أهمية مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

- الموقع الاستراتيجي لمدينة الجزائر
- التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر

اشـــتهرت الجزائر خلال العهد العثماني بقوتها وتصـــديها للقوى الأوروبية المعادية لها. مما جعلتها تحتل مكانة هامة في السواحل الإفريقية. فقد ساهمت في قوتها العديد من المدن الســـاحلة نجد مثلاً مدينة الجزائر. الذي جعل بالأوروبيين يُحَوِلون النظر إليها، وفي هذا الصـــدد يقول هابنســـترايت[1]:"...إن مدينة الجزائر حقا من المدن المهمة في إفريقيا، فهي قد واجهت في كل الأوقات جيوشـــا من أقوى الدول ...وقد ســـميت عند العرب بالجزائر بســـبب وجود جزيرة[2] بالقرب من الســـاحل وهذه الجزيرة أصـــبحت اليوم موصـــولة بالمدينة برصـــيف بحري". ساعد الموقع الجغرافي على نمو المدينة وتوسعها، إلى أن أصبحت بمرور الوقت تحتل مكانا حيويا من الناحية السياسية والإدارية والاقتصادية في بلاد الجزائر[3].

1-الموقع الإستراتيجي لمدينة الجزائر:

تقع مدينة الجزائر[4] في المنطقة المعتدلة، بين خطى عرض 36.46°شـــمالاً، وخط طول 3.3°إلى الشـرق من خط غرينتش[5]. فقد احتلت موقعاً إسـتراتيجياً هاماً، حيث شـبهها عبد الله حمادي بقوس منجنيق (*Arcode Ballestra*) إذ ظهرت المدينة يمثلها قوس وهو يتكئ على هضبة وعرة المسالك، يندرج علوها إلى أن يتحول إلى مكان شاهق منيع[6]. وتقع على منحدر هضـبة مرتفعة ومن القصـبة التي هي أعلى أطراف المدينة، تمتد بناياتها حتى

---

[1] – **رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنستراية إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/ 1732م)**، تر وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د : ت)، ص. 35.

[2] – الجزيرة: تقع على مسافة 220ياردة من البحرية وترتبط باليابسة بممر معبد بالحجر الممر يشكل حاجزا للبحر من الشـمال وهو أعلى كثيرا من الحاجز الجنوبي الشـرقي الذي يمتد قريبا من المرفأ. (أنظر: جيمس لندر كاثكارث، **مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب**، تر وتع وتق: إسماعيل العربي، د.م. ج، الجزائر، 1982م، ص. 68).

[3] – علي عبد القادر حلمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، ط: 1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ص. 33.

[4] – أنظر الملحق رقم 01.

[5] – علي عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830** م، المرجع السابق، ص. 33.

[6] – عبد الله حمادي، " جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان"، **مجلة المصادر**، ع: 6، (د : م)، مارس 2002م، ص. 264.

الجزيرة التي تشكل جزءا من المرفأ[1]، فالمياه تلمس الصفوف السفلى من المنازل وتَنْصَبُ الدُّور العليا ذات الصفوف المسطحة إلى جانبي بعضها[2].

أما بالنسبة لشكلها الخارجي الثلث منها محاط بالبحر ويوجد بها رأس داخل البحر. وهذا ما جاء به التمقروتي[3]: "هذه المدينة مثلثة الوضع ثلثاها دار بها البحر داخلها فيه، وفي رأسها الداخل في البحر قصر السلطان". أما موقعها الجغرافي فهي تتوسط كل من إقليمي بايلك الشرق وبايلك الغرب، ومن الساحل البحر شمالاً، إلى سفوح الأطلس البليدي جنوباً[4]. كما تتمتع بتحصيناتها الطبيعية كوقوعها عند المناطق الجبلية الطبيعية كجبل بوزريعة الذي يحميها من الجنوب الغربي، ووادي الحراش من الشرق ووقوعها عند سهل متيجة، أدى لوصولها إلى عاصمة سياسية يصل سلطانها إلى الشرق والغرب والجنوب هذا ما زاد بأطماع الأوروبيين إليها كونها مدينة بحرية[5].

أما بناء المدينة فيتكون من قلعة حصينة تعرف ببرج الفنار[6]، بالإضافة إلى أبراج أخرى تدافع عن المدينة نذكر منها: حصن الإمبراطور وبرج سردينيا وبرج كورديكيوس وبرج البوانت(Point). كما احتوت على خمسة أبواب هما كالأتي:

-**باب البحرية أو الصيادين:** يقع في الجنوب الغربي من المرفأ[7]، وكان مخصصا للتجارة البحرية يدخل منه الصيد البحري، لذا سمى بالصيادين.

---

[1] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 68.

[2] – سيمون بفايفر، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر وتق وتع: أبو العيد دودو، دار هومه، الجزائر، 2003م، ص. 13.

[3] – علي بن محمد التمقروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق وتح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ص. 94.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 –1830م)**، ط: 3، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2010م، ص. 29.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 –1830م)**، ج: 1، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص. 169.

[6] – برج الفنار: شيدها الأسبان وهي قلعة حصينة على أرض صخرية تدعي البنون ((Penon تقع في عرض البحر على مسافة 300متر من مرسى الجزائر. (أنظر: خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط: 1، شركة الأصالة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص. 134).

[7] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص _ ص. 74 _ 75.

-**باب الجزيرة:** ويسمي أيضا بباب الجهاد لأنه كان مخصصا لدخول وخروج القراصنة والمجاهدين للبحار. وهو أشد الأبواب متانة، بجانبه كانت عدة ثكنات للإنكشارية البحرية.

-**باب عزون:** جاء اسمه نسبة لأحد الثوار اسمه عزون ثار ضد الحكم التركي وحاصر المدينة لكن دون جدوى. يعتبر من أهم أبواب المدينة منه يدخل القادمون من الجنوب والشرق.

-**باب الجديد:** يقع في الجهة الجنوبية الغربية من السور، يدخل منه القادمون من الغرب ومن البليدة[1].

-**باب الوادي:** يقع في شمال الجزائر العاصمة كان فيما مضى يؤدي إلى ضاحية يمتد طولها إلى حد بعيد أمست الآن حطاماً.

لقد اكتست المدينة مظهرا أكثر روعة، حين ينظر إليها بانحراف، توجد فيها أشجار مثمرة مخضرة وحدائق ومباني جميلة[2]. كما توجد بها قلاع وحاميات وحصون رهيبة تحيط بها المياه من كل جهة...كما وجد على جانبها تلال ووديان وسهول[3]. فالموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به مدينة الجزائر من مناظر طبيعية ومباني إنشائية، جعلها تحتل مكانة بحرية مرموقة لدى البلدان الأخرى. وهو الشيء الذي جعلها فريسة للأنظار الأوروبية بالدرجة الأولى.

2-التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر:

عرفت مدينة الجزائر منذ الدخول العثماني لها (1518-1830م) عناصر سكانية متباينة. وهذا راجع لأسباب عدة نذكر منها: سقوط غرناطة سنة 1492م وهجرة الأندلسيين نحو شمال إفريقيا وتمركزهم في أغلب المدن، وبخاصة مدينة الجزائر خوفاً من الاضطهاد النصراني. والهجوم الاسباني على السواحل الجزائرية، واحتلالهم لمدينة الجزائر سنة 1505م، الذي أدى بمجيء العثمانيون لإخراج الأسبان من المنطقة، إذ شكلوا الفئة التركية آنذاك وظهور فئة الكراغلة. كما لا ننسي عملية القرصنة التي دامت حوالي ثلاثمائة سنة

---

[1] - علي عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص-ص. 232 -234.

[2] - أ.ليسور وو.وليد، **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**، تح وتق وتع وتر: محمد جيجلي، ط: 2، دار الأمة، الجزائر، 2002م، ص، ص. 7، 17.

[3] - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 14.

على السواحل الأوروبية. إضافة إلى الهجرات اليهودية، بسبب الظروف التي كانت سائدة داخل البلدان الأوروبية أدى إلى تنوع عناصرها التي شاهدتها منذ زمن طويل ودامت حتى الفترة الحديثة.

ففي البداية بما أن مدينة الجزائر مقر للحكم التركي في البلاد، فعدد سكانها كان متزايدا ثم بدأ يتناقص كثيرا بسبب الأوبئة التي اجتاحت المدينة بين سنتي (1787-1791م)، ولم يعد يتجاوز 40 ألف نسمة بعدما كان 130 ألف نسمة خلال القرن 17م[1].

لقد اتصفت مدينة الجزائر في تلك الفترة بالتنوع في فئاتها الاجتماعية _عرقياً ودينياً_، على أساسها قُسِم مجتمعُ المدينة[2]. إذ أخذت طبقات المجتمع في الفترة العثمانية شكل السلم الهرمي حسب ما وصفها حمدان بن عثمان خوجة بأنها طبقات مختلفة من الناس، وكان سكانها عرب الذين فروا من الاضطهاد الإسباني والباحثين على لقمة العيش إلاّ أن جاء الأتراك لنجدتهم إذ عرف التاريخ في هذه الفترة بأن جزءًا كبيراً من سكان مدينة الجزائر من العرب والأتراك وكراغلة وأعراب وقبائل[3] والموريسكيين وفئة البرانية والزنوج[4]. إضافة إلى هذا هناك فئة اليهود وفئة المسيحيين بمختلف جنسياتهم من الأسرى والرقيق وهناك التجار الوافدين التي كانت إقامتهم مؤقتة[5]. كما وجد بعض العبيد السود[6].

بينما وجدت تقسيمات عن التركيبة السكانية لمدينة الجزائر وردت في الدراسات الأوربية يقول وليام شالر[7]: " عبارة عن خليط من العرب والبربر وبقايا الأجناس، التي غزت البلاد عبر العصور والمهاجرين من الأندلس، والأتراك". أعتقد أن التقسيم الأنسب لمجتمع مدينة

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص _ ص. 39 _ 40.

[2] – محرز أمين، **الجزائر في عهد الأغوات(1659 –1671م)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007 _ 2008م، (غير منشورة)، ص. 85.

[3] –حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، منشوراتANCP، الجزائر، 2005م، ص. 63.

[4] –سعيود إبراهيم، "جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني (مقاربة تاريخية)"، **الحوار المتوسطي**، ع: 15 و16، مارس 2017م، ص. 156.

[5]. –عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص. 266.

[6] – جون ب.وولف، **الجزائر وأوروبا(1500–1830م)**، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص. 156.

[7]– وليام شالر، مذكرات **وليام شالر**، قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824) ، تعر وتع وتق : إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982 م ،ص.54 .

الجزائر هو تقسيمه إلى جماعات من المسلمين، الأهالي (الحضر)، الذين ينحدرون من أصول عربية وأمازيغية، والأندلسيين والأتراك الكراغلة والمسيحيين من –أسرى وأحرى– واليهود. وهم على النحو التالي

–**الأتراك العثمانيون:** كان في أعلى السلم الباشا إلى اليولداش، وكانوا يحتكرون السلطة، فمنهم الباشوات والوزراء والبايات ورؤساء البحر أوالرياس والأغوات أو قوات البر، كما كان منهم أعضاء الديوان، فهم فئة متميزة كانوا ينظرون إلى السكان نظرة احتقار واستعلاء[1].

–**المولودون:** هم الأطفال الذين يولدون نتيجة الزواج بين الجزائريات والأتراك. يسمون بالكراغلة[2]. وتعد من أهم الفئات الاجتماعية في بعض المدن الجزائرية، نظراً لما كانت تتمتع به من امتيازات مادية[3]. وقد بلغ عدد أفرادها في نهاية القرن 18م بمدينة الجزائر حوالي 6000 نسمة[4].

–**جماعة الحضر:** ونعني بها العناصر الأولى التي ولدت في المدن وترعرعت فيها، عبر المراحل التاريخية المتعاقبة. وتتكون من العرب الأمازيغ[5]، كما تضم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والكتاب والإداريين، إذ تشمل المهاجرين الأندلسيين، ومن استوطن من أهل البادية وتمدن بعدما كان بدويا[6].

–**الأندلسيون:** عرفت الجزائر هجرة الأندلسيين قبل سقوط غرناطة بفترة بعيدة، وبعد سنة 1492م ازدادت هجرتهم، واختاروا مدينة الجزائر كملجأ إذ ربطوا مصيرهم بالأتراك العثمانيين. فقد كان لهم دور فعال في التصدي للحملات الإسبانية من جهة، والنشاط

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 153.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 63.

[3] – أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519–1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005 –2006م، (غير منشورة)، ص. 63.

[4] –عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص.74.

[5] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص. 55.

[6] –أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 155.

الاقتصادي من جهة أخرى[1]. وقد ارتفع عددهم بعد أن قامت إسبانيا بطردهم بصفة جماعية سنة 1616م[2].

-**جماعة البرانية:** لقد ضمت الجزائر عددا هائلا من البرانية، وهي عناصر غير قادرة. نزحت من مناطق مختلفة إلى المدينة للعمل فيها مؤقتاً. وتنقسم إلى عدة مجموعات مهيكلة، فقد كان على رأس كل جماعة أمين[3]. واختصت كل جماعة بوجه عام للقيام بأعمال معينة في مدينة الجزائر، ومن أهم تلك الجماعات نذكر: بنو ميزاب والبساكرة والقبائل والجيجليون والأغواطيون والجربيون والزنوج[4].

-**جماعة الدخلاء:** لقد تعايش مع الفئات الاجتماعية سابقة الذكر فئات أخرى، اعتبرها المجتمع دخيلة عليه لموانع دينية وأخرى حضارية. فمع مرور الزمن أصبحوا جاليات من اليهود والأوروبيين الأحرار منهم والأسرى وهم التالي:

فئة اليهود: قسموا حسب أقدمِيتهم في الجزائر إلى مجموعتين. كانت الأولى يمثلها اليهود الذين التحقوا بإفريقيا، بعد أن نشأت صفوفهم في المشرق، في حدود القرن 8 ق م. أما المجموعة الثانية فكانت من اليهود النازحين من جزر البليار وإيطاليا وفرنسا...منذ القرن13م[5]. ومع القرن15م بدا عددهم يتزايد إلى 1300أسرة في عام 1675م[6]. يعتبرون هم الجماعة النشطة التي ارتفع شأنها في الجزائر في المجال الحرفي والاقتصادي والتجاري[7].

أما عن فئة المسيحيين من الأسرى والأحرار فهو موضوع دراستنا.

---

[1]– حنيفي هلايلي، "الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية "، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع: 25، تونس، أوت 2002م، ص. 316.

[2] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص. 74.

[3] – أمين: هو المسؤول عن شؤونها فيما يختص بأمور الشرطة والفصل في الخلافات، يلعب دور الوسيط بينها وبين ممثلي السلطة. (أنظر: محرز أمين، المرجع السابق، ص. 92).

[4] – محرز أمين، المرجع السابق، ص. 92.

[5] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص. 64.

[6] – محرز أمين، المرجع السابق، ص. 96.

[7] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص. 75.

-استنتاجات:

- تعتبر مدينة الجزائر من أهم المدن الساحلية للجزائر العثمانية. ففي البداية كانت عبارة عن مرفأ صغير، ومع مجيء العثمانيين أصبحت عاصمة سياسية يصل سلطانها إلى كل المناطق.
- تمتعت بموقع إستراتيجي هام طيلة العهد العثماني، حيث أنها تطل على البحر المتوسط من معظم الجهات. ووفرتها على الموانئ القريبة من السواحل الأوروبية. وهو الأمر الذي ساعدها على تنميتها وتطورها. كما تميزت المدينة عن غيرها من المدن بكثرة أبوابها لاتصالها بالجهات الأخر من الشرق والغرب والشمال وحتى الجنوب.
- خلال الفترة العثمانية التي تجاوزت الثلاثة قرون(1519-1830م). شهدت مدينة الجزائر تركيبة سكانية متباينة. فكان سكانها من العرب والأمازيغ وبعض القبائل الصحراوية. وبعد دخول الأتراك العثمانيين ظهر عرقان هما الأتراك والكراغلة، وعرفت الأندلسيين والبرانية. كما تعايش داخل هذا المجتمع فئات سمية بالدخلاء من اليهود الذي كان لهم الدور الفعال في المجال الاقتصادي والتجاري، والفئة الأخرى من المسيحيون-الأسرى والأحرار-.

الفصل الأول

المسيحيون وحياتهم الاجتماعية بمدينة الجزائر

المبحث الأول: التعريف بالفئات المسيحية

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية للمسيحين

المبحث الثالث: مرافق إقامة المسيحين بمدينة الجزائر

سنحاول في هذا الفصل إدراج مسألة الفئات المسيحية القاطنة منها والمؤقتة بالجزائر العثمانية، وبخاصة مدينة الجزائر لنبين ممن تتكون الفئات الاجتماعية؟ كيف كانت حياتها الاجتماعية؟ وكيف كنت تعيش بعيداً عن موطنها الأصلي؟ وعند فهم المرافق والمنشآت المسيحية يؤدي بنا الأمر إلى فهم أوضاعهم الاجتماعية. من هنا يطرح السؤال: فيما تمثلت مرافق إقامة المسيحيين بمدينة الجزائر؟

المبحث الأول: التعريف بالفئات المسيحية.

لقد شهدت الجزائر العثمانية بشكل عام ومدينة الجزائر بشكل خاص. عدداً كبيراً من أهل الذمة[1] من البلدان الأوروبية وأخرى أمريكية مختلفة. فمنها الأسرى المسيحيون الذين شكلوا الفئة الكبرى ثم تأتي فئة الأحرار أو الطلقاء من القناصل والتجار وموظفي القنصليات ومفتديي الأسرى من رجال الدين. إضافة إلى الرحالة المستكشفين.

1- فئة الأسرى[2] والعبيد[3]:

إن مصدر هؤلاء الأسرى من القرصنة[4] وهو المعنى الذي أخذه الأوروبيون، والنشاط البحري الذي قام به حكام إيالة الجزائر أثناء حروبها مع الدول البحرية، التي كانت في حالة

---

[1]- أهل لذمة: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يدفعون الجزية وألحق بهم المجوس.(أنظر: محمد أحمد وهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ط: 1، دار الفكر، دمشق، 1990م، ص. 25).

[2] - الأسرى: هي كلمة عربية جاءت في القرآن الكريم. ثم انتقلت إلى اللغة التركية بمعنى الأسير(esir) وهو الشخص الذي قبض عليه في الحرب فوقع في الأسر. (أنظر: سهيل صبان، **معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية**، ط: 1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2005م، ص. 35).

[3] - العبيد: أو العبد تكتب في المراجع الأجنبية (Abd) وهو المصطلح الاعتيادي لكلمة (Slave) عبد في اللغة العربية،...وتوظيف كلمة العبد على كلا الجنسين (الرجل والمرأة)، وهناك مصطلح آخر يدل على العبد وهو مصطلح أسير وهو الشخص الذي يتم شراءه من اجل المصلحة الفردية ويعمل مختلف الأعمال.(أنظر: بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1671 _ 1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفي اسطنبولي، معسكر، 2009 _ 2010م، (غير منشورة)، ص. 50).

[4] - القرصنة: تحمل معنيين.الأول لدى العرب وهو الجهاد البحري الذي تفرزه الظروف التاريخية ويتمسك بجذوره الدينية، إذ يعتبر شكل من أشكال الدفاع الشعبي، ومظهر من مظاهر الرفض للهيمنة الأوروبية، ووجه من أوجه طرد المورسكين من الأندلس.(أنظر: حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط: 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص. 68). أما المعنى الثاني لدى الأوروبيين أنه منذ القدم كانت الدول البحرية تمارس عملها بهدف النهب والسلب بالدرجة الأولى، نظراً لعدم الحاجة الكبرى للقدرة البشرية. وتطور مفهومها عبر العصور إلى نوعين =متمايزين أولهما القرصنة القائمة على السلب والنهب. والقرصنة التي تعتبر نوعا من الحروب البحرية وهدفها ضرب=

حرب دائمة معها يتقاتلان حيثما التقتا ويكون المغلوب ملكا للغالب. وكانت الجزائر أثناءها تقبض بأفواج من الأسرى المسيحيين[1] في قول ابن رقية التلمساني[2]:"...ثم إن جماعة من الغزاة قالوا لخير الدين[3]: إن الأسرى بفضل الله علينا قد كثرت في هذه المدينة".

فهناك من المؤرخين من يرجع الأسباب إلى كثرة الغارات والحروب بين الجزائر وقراصنة أوروبا خلال ما يزيد عن ثلاثة قرون، حيث وقع آلاف الأسرى من الرجال والنساء والأطفال. وهناك من يرجعها إلى تجارة الرقيق نتيجة تعاظم الحاجة للقدرة البشرية، إلاّ أن في سنة 1513م توجهت البرتغال بشراء العبيد واقتناص الزنوج من إفريقيا، ولم يكن المسلمون في المغرب الإسلامي بمعزل عن عمل النخاسة القائم على تجارة الأوروبيين. لذلك وجهوا اقتصاد مدينة الجزائر نحو تجارة الرقيق والعبيد المسيحيين، فاحتفظت بهم كرهائن في البلاد[4].

إن فئة الأسرى المسيحيين الذين كانوا يقدرون بالآلاف من النساء والأطفال وأصحاب المهارات والأدباء[5]، كما ضمت النبلاء وكبار الموكلين من ضباط السفن والتجار والمسافرين البورجوازيين وبالإضافة إلى رجال البحر العاديين والفلاحين الفقراء[6]. وقد كان هؤلاء الأسرى والأرقاء عبارة عن خليط من مختلف الأمم الأوروبية على اختلاف أجناسهم. فكان منهم

=اقتصاد العدو.(أنظر: بسام العسلي، **خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470هـ/ 1547م**، ط: 1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص _ ص. 72 _ 74).

[1] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، (د : ت)، ص– ص. 37 –38.

[2] – محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تح: خير الدين سعيدي الجزائري، ط: 1، أوراق ثقافية، الجزائر، 2017م، ص. 103.

[3] – خير الدين: بن يعقوب، ولد سنة 1465م –على الأرجح– من جزيرة أرخبيل اليونان "مديللي"، نزل هو وأخوه عروج ميدان الكفاح في البحر المتوسط، ولما أستشهد أخوه واصل خير الدين الكفاح إلى أن جعله السلطان حاكماً عاماً لها سنة 1519م.(أنظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 3، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص ، ص. 44 ، 45).

[4] – بسام العسلي، المرجع السابق، ص، ص. 74 ، 77.

[5] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 150.

[6] – جون ب . وولف، المرجع السابق، ص. 208.

الإيطالي والإسباني والبرتغالي والفرنسي والهولندي[1]...كما كان هناك بعض الأسرى الأمريكيين[2].

إذ نجدهم ينقسمان حسب وضعيتهم إلى صنفين: الصنف الأول وهم أسرى الدولة وهم أقل بؤساً وشقاءً. والصنف الثاني، وهم أسرى الأفراد والعائلات[3]. وذلك عندما يتم بيعهم في سوق النخاسة[4] المعروف بالباديستان، يصبح ملك للبايلك والبعض الآخر ملك للخواص[5].

يقول فنتور دي باراديس(Venture De Paradis) عن الأشخاص الذين يشترون العبيد، وبشكل خاص في الجزائر. وبهذا يعني أن العبيد يعطي الأموال التي يمتلكها لصاحب العمل. فقد كانت كل منازل القناصل والتجار والحرفيين الأوروبيين والرهبان المبعوثين لخدمة المستشفي الإسباني، يتم إعطاؤهم أماكن للاختباء في الثكنات، للحفاظ على نظافتها وخدمتها من أجل توفير المال. وقد تلقي هؤلاء العبيد معاملة باللطف والإنسانية[6].

وكان هؤلاء يعملون في انتظار فديتهم في شتي أنواع العمل كالزراعة والبناء والنظافة والطب[7]، ويستخدمون أيضا في الحانات أو السجون المسخرة للخدمة في قصر الداي أو رعاية بعض البساتين[8]. وهم عادة ما يحضون باحترام الأتراك، ويكونوا في حماية احدي الدول الأوروبية التي تكون في حالة سلم معها[9].

---

[1] – محرز أمين، المرجع السابق، ص. 68.

[2] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص. 67.

[3] – فاتح بلعمري، **الحياة الحضارية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة**، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016 _ 2017م، (غير منشورة)، ص. 296.

[4] – أنظر الملحق رقم 02.

[5] – محرز أمين، المرجع السابق، ص. 98.

[6] – Venture De Paradis, ***Alger au XIII Siècle***, Ed: Efagnan, Alger, 1898, P.51.

[7] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 150.

[8] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 43.

[9] – هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 34.

ومن بين الأسـرى الأوروبيين الذين عاشـوا بمدينة الجزائر خلال القرنيين 16 و 17م، على الرغم أنهم فضـلوا عدم اعتناق الإسـلام ومع ذلك نالوا الشـهرة نذكر منهم: ميغال سيرفانتيس سافيردا، دييغو دي هايدو، إيمانويل دراندا وجون فرانسوا رونيار[1].

غير أن عدد هؤلاء غير مسـتقر، فهو يختلف من فترة إلى أخرى، حيث تتحكم فيه طبيعة العلاقات الجزائرية الأوروبية من جهة، ومدى تفوق أسـطولها في عرض البحر من جهة أخري[2]. كما أن فترات السـلم والأمن لعبت دورا في تراجع عدد الأسـرى في ضـفتي المتوسط. أما في فترات الصراع فإن عددهم كان يتزايد دون شك[3]. وتورد المصادر الأوروبية أن عددهم في مدينة الجزائر قليل جدا[4]، حيث بلغت نسـبتهم في الفترات التاريخية إلى 25 بالمئة من مجموع سكان مدينة الجزائر. إذ أن الرايس علي بتشين[5] وحده كانت بحوزته 600 أسـير منهم 300 قد اسـتخدمهم على ظهر السـفينة[6]. ففي العهد الأول أي في القرنيين 16 و17م نلاحظ تزايداً في عدد الأسـرى. ففي سـنة 1578م بلغ عددهم من الفرنسـيين والإيطاليين...قرابة 25 ألف أسـير[7]. وفي (1609-1619م) أسـروا عدداً كبيراً من أفراد الـدول الأوروبيـة من بينهم 867 ألمـاني و300 أنجليزي و250بولوني، مجري...و160 دانماركي و138 هامبورقي و130هولندي. ومابين سـنتي (1621-1627م) أسـروا 20 ألف. أما في سنة 1635م ارتفع العدد إلى 30ألف أسير[8].

---

[1]- محمة عائشة، **الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السـادس والسـابع عشـر للميلاد**، رسـالة ماجسـتير، المركز الجامعي بغرداية، 2011 _ 2012م، (غير منشورة)، ص. 125.

[2] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص. 67.

[3] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص. 156.

[4] – هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 34.

[5] – علي بتشـين: يكتب اسـمه picenino أو Picini، وهو إيطالي الأصـل من البندقية. كان أمير البحر فأسـلم وكان له منشـآت عمرانية مثل سـجن علي بتشـين.(أنظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 3، المرجع السابق، ص. 136).

[6] –عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962م**، ج: 2، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص. 184.

[7] – حنيفي هلايلي، " القرصـنة وشـروط افتداء الأسـرى الإسـبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، ع: 4، الجزائر، (د: ت)، ص. 244.

[8] – يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر الحديث**، ج: 2، ط: 2، د.م.ج، الجزائر، 2009م، ص. 189.

ونلاحظ أن في العهد الثاني أي خلال القرنين 18-9م، تراجع لأعداد الأسـرى، وذلك راجع لمرض الطاعون الذي تفشـى في مدينة الجزائر أواخر القرن 18م، الذي اختطف من 700 إلى 800 عبدا مسيحيا. ووجد 500 على الأكثر عبدا بين أيدي البايلك والأفراد[1]. غير أن في عهد الداي محمد عثمان[2] (1766-1791م) وجد 24 ألف أسـير[3]. وفي سـنة 1790م وجد 2000أسيرا، وفي 1793م أسروا 100 أمريكي، ووصل إلى1200 أسيرا عام 1800م. أما في سـنة 1802م قبضـوا على 282 بحارة برتغالي[4]. وكاد عددهم يتلاشـى خلال القرن 19م، وخاصة بعد هجوم اللورد إكسموث 1816م ولهذا أصبحت طبقة الدخلاء تتكون غالبيتها من الجالية اليهودية[5].

غير أن المصادر الأوروبية ذكرت هذه الإحصائيات من بينهم هايدو[6](Headо) الذي يقول إنه يوجد 25 ألف أسـير في مدينة الجزائر. ويخبرنا الأب دان(P.Pierre[7] Dan) أنه وصـل إلى 25 ألف من الرجال، 200 امرأة من مختلف الجنسـيات. بينما تعطي لنا أحد دراسـات حنيفي هلايلي بعض التقديرات من الأسـرى من مختلف الكتابات الأوروبية خلال القرنين 18 و19م[8].

---

[1]- Venture De Paradis, Op.Cit, P.52.

[2]- محمد عثمان: ولد بمدينة الجزائر وهو رجل علم، ثم أخذ مكان واله الحاج علي في نقابة الأشـراف سـنة(1766 _ 1791م).(أنظر: أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766 _ 1791م) سيرته. حروبه. أعماله. نظام الدولة. الحياة العامة في عهده**، م.و.ك، الجزائر، 1986م، ص. 77).

[3]- أحمد شـريف الزهار، **مذكرات الشـريف الزهار نقيب أشـراف الجزائر(1168 _ 1246 هـ/ 1754 _ 1830م)**، تح: أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974م، ص. 25.

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص _ ص. 200 _ 201.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 43.

[6] - *Don Diego de Heade,* ***Topographie et histoire général D' Alger****, Trad: MM,Monnreau et A.Berbrugger, Ed: Au très illustre seigneur, a Valladolid, en 1870, P.41.*

[7] - *P.Pierre Dan,* ***Histoire de la barbarie et de ses corsaire, des royaumes et des villes d'Alger, de tunis, de salé , et du tripogy****, Ed: 2, à paris, 1646, P.31.*

[8]- أنظر الملحق رقم 03.

2-فئة القناصل[1] والتجار:

وهي الفئة الثانية التي كانت تعيش في مدينة الجزائر من القناصل والتجار ورجال الدين وبعض الرحالة المستكشفين...فالقناصل والتجار يمثلون جل المسيحيين غير الأسرى، وهم في الغالبية أقلية. وهذا لم يمنعهم من التجمع في المدن الساحلية، التي كانت تتعامل عن طريق موانئها مع التجار الأجانب[2]. وخلال الفترة العثمانية بالجزائر، كانت فرنسا بحكم علاقاتها الطيبة هي السباقة لحصولها سنة 1564م على حق تعيين قناصلها في الجزائر، ولم تتمكن من استخدام هذا الحق إلا سنة 1580م بسبب مقاومة حكام الجزائر. وكان معظم القناصل من التجار يتم تعيينهم من طرف غرفة تجارة مرسيليا[3].

من خلال هذا فُتِح المجال أمام الدول الأوروبية لتعيين قناصلها في الجزائر. إذ يتم توفير لهم أماكن إقامة ملائمة في المدينة وضواحيها، يدفعون مقابلها كل سنة مبالغ مالية لأصحابها[4]، كما لهم مترجمين مرافقين لهم أو مقيمين معهم في أماكن العمل[5]. وضمت هذه الفئة مجموعة من التجار والسماسرة، لهم أماكن للإقامة مؤقتة في أغلب الأحيان لا تتجاوز 6 أشهر أو سنة واحدة، ولهم عدة امتيازات[6]. وهذا ما أقرته معاهدة 10 أوت 1746م في بندها السابع عشر. نصت على الحماية المطلقة التي حضي بها القنصل الدنماركي بالجزائر، مع حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وأثناء الحرب يسمح لهم بمغادرة المدينة فوراً.

---

[1]- القنصل: هو موظف رسمي تعينه دولة ليمثلها في دولة أخري، يتولى رعاية مصالحها التجارية وحماية رعاياها، ويقوم ببعض المهام الإدارية والقضائية وكتابة تقارير عن الحركة التجارية والصناعية ومنح الجوازات...يساعده ممثلون ونواب= بموجب إذ يتمتعون بامتيازات وحصانات محدودة.(أنظر: خديجة حالة، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني(1700 _ 1830م)**، رسالة ماجستير، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2012 _ 2013م، (غير منشورة)، ص. 20).

[2]- أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات _دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية_**، ج: 2، دار الكفاية، الجزائر، 2013م، ص. 53.

[3]- محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، ط: 1، د: ن، دمشق، 1969م، ص. 127.

[4]- هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 34.

[5]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 150.

[6]- محرز أمين، المرجع السابق، ص. 59.

أما بندها الثاني عشر فأقر ضمان أمن وسلامة التجار بحيث لا يتم بيعهم ولا استرقاقهم[1]. ويمكن اعتبار رجال الدين جزءًا من هذه المجموعة، إذ هم المسئولون عن إعادة شراء الأسرى وافتدائهم، وهو واحد من أهم النشاطات التجارية في تلك الفترة[2].

كما نجد بعض الرحالة الذين زاروا مدينة الجزائر سواء بقصد أم مرورا بها وذهاباً إلى مدنٍ أخرى. نذكر من بينهم الرحالة الألماني هابنسترايت[3] لقوله:"...فأقمنا مدة مكوثنا بمدينة الجزائر عند السيد بلاك، الذي عاملنا بأريحية والكرم المعهود لدي مواطنيها من الإنجليز، ونفس المعاملة لمسناها لدي القناصل الآخرين، الذين حملنا إليهما رسائل في شأن رحلتنا، حتى أننا لم نلمس في مدينة الجزائر مع من تعاملنا معا سوى سلوك متحضر".

كان عدد أفراد هذه الفئة ضئيلاً جداً مقارنة بالفئات الأخرى، وهذا راجع إلى أن توافد الأوروبيين على الجزائر مرتبط بالوضع العام بهم، كلما توترت العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية، واشتدت أعمال القرصنة، قلت حركة الأشخاص وتنقلهم. لذا نجد عدد القناصل خلال القرن 17م ثلاث قناصل يمثلون الدول البحرية الكبرى، وهم قناصل إنجلترا والأقاليم المتحدة[4]. وعلى الرغم أن فرنسا هي السباقة في تكوين علاقات ودية بينها وبين الجزائر فلم يكن يتجاوز 22 شخصاً في النصف الثاني من القرن 18م ومطلع القرن 19م[5].

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية للمسيحيين.

قبل أن نتكلم عن حياة المسيحيين اليومية في مدينة الجزائر من ملبس ومأكل وعمل. سنحاول أولاً أن نعطى نظرة عن أوضاعهم العامة في مدينة الجزائر.

1-أوضاع الأسرى المسيحيين:

لقد حظيت كلا الفئتين من الأسرى والأحرار بمعاملة جيدة سواء من الطبقة الحاكمة من الأتراك أو من الخواص الأهالي الأغنياء، وحتى من الفئات الاجتماعية الأخرى. إذ سمح لهم بممارسة أعمالهم وشعائرهم الدينية. كما كانت لهم راحة أيام عطلة المسلمين في

---

[1]- عائشة غطاس، "أول حلقة في العلاقات الجزائرية الدنماركية معاهدة 22 رجب 1159هـ / 10 أوت 1746م"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع: 3، الجزائر، 1987م، ص. 133.

[2]- أحمد بحري، المرجع السابق، ص. 54.

[3]- المصدر السابق، ص. 35.

[4] -محرز أمين، المرجع السابق، ص. 90.

[5] - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص. 66.

المناسبات والأعياد الدينية. إذ تلقوا معاملة حسنة لا يتم عقابهم إلا في حالة ارتكابهم لأخطاء قد تضر بالمجتمع والإيالة على حد سواء. غير أن بعض الأسرى وصلوا إلى المناصب النافذة في الحكم. إذ أَسند لنا صلاح العقاد شهادة من وليم شالر القنصل الأمريكي الذي قال في نهاية القرن 18م:"لقد سُمح للذين كانوا يؤتمن عليهم بالهروب بممارسة الأعمال المربحة حتى أن بعضهم ترك الجائر أسفاً، واشتغل بعضهم بالحكومة. وكانت أبواب السجون تفتح للرهبان الذين يتصلون بالأسرى بحرية تامة".

فالقصص التي أوردها المؤرخون الأوروبيون عن تعذيب هؤلاء الأسرى وآلامهم في سجون الجزائر، إنما روجها بعض رجال الدين الذين كان لهم مصلحة في المبالغة حتى يكسبوا عطف المحسنين الأوروبيين وعند وقوع سير فانتيز أمير شعراء إسبانيا في القرن 17م، في أسر بحارة الجزائر كتب في شعره حول أيام الأسر ما شاهده من معاملة طيبة[1]. بينما يصف جيمس ويلسون ستيفنس بأن حالتهم في تعاسة وقهر وشقاء المتمثل في حمل المتاعب الأكبر من حجم جسمهم، كما كانوا يعانون من الحشرات والجرذان في مكان نومهم[2]. إنهم يتكلمون عن المتاعب ولا يدركون التسامح الديني والإنسانية الذي تعاملت به الإيالة الجزائرية، إذ يقول فنتور دي بارادي(*Venture de paradis*) [3]:" إن أكثر العبيد يعاملهم الأتراك بلطف وإنسانية".

إن أغلب المصادر الأوروبية أعطت صورة لوضعية الأسير المسيحي بمدينة الجزائر، وذكرهم لدور العبادات والمصحات التي أقيمت خصيصاً لهم، وهو ما يبين الحرية الدينية التي كانوا يتمتعون بها، في حين كانت أوروبا تعيش أهوال الحروب الدينية ومحاكم التفتيش. ومع هذا كانت معيشة الأسرى الأوروبيين أحسن بكثير من وضعية الأسرى المسلمين بأوروبا[4].

---

[1] – صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس. المغرب الأقصى**، ط: 6، مكتبة الأنجلوا المصرية، مصر، 1993م، ص–ص. 36–37.

[2] – جيمس ويلسون ستيفنس، **الأسرى الأمريكان في الجزائر(1785–1795م)**، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2008م، ص، ص. 69، 75.

[3]–Venture De Paradis, Op.Cit, P.50.

[4] – محرز أمين، المرجع السابق، ص–ص. 98–99.

2-اللباس والطعام:

أ-اللباس: عند قدوم أي أسير إلى الجزائر، يذهب مباشرة إلى الاستحمام لينظفه مجموعة من العبيد ويمنح له بدلة. إذ يصف جيمس لندر كاثكارث[1] حالته عند وصوله إلى مدينة الجزائر عشية عيد الفطر قائلا:"ونظرا لأننا ملك لصاحب المركب الذي أسرنا فقد قادونا إلى منزل مالكنا وبعدما جردونا من الثياب التي كانت لا تزال باقية على أجسادنا...وبعد وصولنا إلى قصر الداى أخذنا إلى حمام ساخن وقام بغسلنا عبيد مسيحيون آخرون ونظفنا من جميع الأوساخ ...ولبسنا قميصا فضفاضا مفتوح الأكمام وسروال تركية واسعة وأحذية وطرابيش حمراء". وهناك من يقول أنه عند وصوله إلى الجزائر يمنح له حزمة من الأمتعة تحتوي على حزاما وسترة وصدرية وقميص وبطانية ولباس نوم[2].

أما لباس العبيد العاملين في القصر: فعلى الذين يعيشون في الجناح الأعلى يتلقون بدلتين أنيقتين من الجوخ الرفيع مزينة بحواشي من الذهب. والطباخون يرتدون أكسية من قماش أقل جودة، ولكنها مطرزة بالحرير[3]. وعن الألبسة وأمور النظافة يتلقاها مرة واحدة وبعدها يتحمل الأسير تدبير شؤونه لوحده. وعن لباس المساجين هو عبارة عن قميص فضفاض من القماش وسروال داخلي وقفطان صغير من نفس النوع والذي ينحدر إلى غاية الركبة وقبعة بيضاء وزوجين من الأحذية حيث يحتفظ بها الأسير مدة سنة واحدة[4].

أما العبيد الذين يشتغلون في الأعمال الشاقة: فلباسهم[5] من بدلة واحدة من القماش الردى، لا يساوى أكثر من دولار ونصف. غطاءين ويفترض أن يستمر كل ذلك لمدة بقائهم في الأسر[6].

وما جاء به جيمس ويلسون ستيفنس أنهم كانت توزع عليهم الملابس مرة واحدة في العام ويسمى بيوم المهرجان. إذ يعفي في هذا اليوم الأسير من العمل فينضمون في الصباح

---

[1] – المصدر السابق، ص _ ص. 19 _ 20.

[2] – قرباش بلقاسم، "بانيوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع : 1، الجزائر، ديسمبر 2013م، ص. 137.

[3] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 28.

[4] – قرباش بلقاسم، "بانيوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)"، المرجع السابق، ص. 137.

[5] – أنظر الملحق رقم 04.

[6] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 28.

في الصفين وسط الفناء المجاور للقصر، ويقوم وكيل الحرج وعددا من مرافقيه بحضور الداي، بتقديم لكل عبد حلة من الثياب بالزى التركي تجمع في حزمة صغيرة، وتتشكل من سروالين قصيرين من الجوخ وسترة تشبه إلى حد ما غراره بدون أزرار ولا كمان، وقميص قماشه خشن بكمان قصيرة، وزوج من الأحذية مصنوعة من الجلد الأصفر[1].

ومن جهة لباس فئة الأحرار: فقد كان التجار يرتدون البدلة الأوروبية باستمرار لأن دولهم أوصت بضرورة ارتداءهم هذا للباس ليميزهم عن غيرهم. لأن ارتداءهم للملابس الجزائرية بالجزائر يعرضهم للمضايقات[2]. أما القناصل الأوروبيون[3] كانوا يرتدون لباسهم الذين يعتادون لبسه في دولتهم، مثل الشعر المستعار والقبعة، ولم يتعرضوا لمضايقات إلا في حالة حرب بين الجزائر ودول أوروبا، إذ كانوا من ذوي المكانة والشرف[4].

اختلف نوع اللباس حسب تطور الصناعة فالرجال الأوروبيون في القرن 16م. كانوا يرتدون سترا تبرز فوق البطن، وأحذية ذات الكعب العالي، وياقات مصنوعة من الكتان. وفي القرن 17م بدأ الرجال يتخلون عن ارتداء نمط الملابس القصيرة والمسمى الدوبليت واستبدلوا بها صدريتان أو قمصان متوسط الطول، وكانوا يحملون سيوف توضع في أغماد من الجلد، ويحمل السيف فوق الكتف، ووضع الرجال أيضا قبعات فاخرة من الريش على شعرهم الطويل الكثيف. وفي القرن 18م وبدخول آلات النسيج مجال الملابس بقوة أصبحت ملابسهم عبارة عن صدرية أو قميص متوسط الطول يلبس تحت البدلة الطويلة بالإضافة إلى الشعر المستعار مع الياقات العريضة[5].

ب-الطعام: إن الطعام الذي كان يقدم للمسيحيين يختلف من شخص لآخر حسب الوظيفة التي يشغلونها. فطعام الذين يعملون بالأعمال الشاقة ليس مثل الطعام الذي يتناوله الذين يعملون عند الداي أو أثرياء المدينة.

-طعام أسرى البايلك: هو عبارة عن ثلاث وجبات في اليوم يتكون من خبز أسود ويسمح لهم بشراء الغذاء من أموالهم الخاصة، إضافة إلى ما كان يمنح لهم من تبر

---

[1]- جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص-ص. 292-293.

[2] - خديجة حالة، المرجع السابق، ص. 130.

[3] - أنظر الملحق رقم 05.

[4] - وليم شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)**، المرجع السابق، ص. 241.

[5] -خديجة حالة، المرجع السابق، ص _ ص. 130 _ 131.

المسـيحيين الأحرار، ويوزع كالتالي: على السـاعة الثامنة صـباحاً يتناولون فطورهم المتكون من رغيف خبز وصـحن صـغير من الخل وكأس ماء، حيث يجلس الأسـير مدة عشـر دقائق لتناول الفطور، ونفس الوجبة تقدم لهم في الغداء والعشاء[1].

-طعام أسـرى الداي: كان غذاؤهم أفضـل بكثير من هؤلاء الأسـرى، إذ أن العبدين اللذين يحرسـان الباب ويقدمان الأطباق للداي، كان غذاؤهم من نفس طبق الداي[2]. وعن عمل المطبخ يخبرنا سـيمون بفايفر[3]:"...أما طعامنا فإنه لم يكن من النوع الذي يفرض علينا أن نشـكو من الجوع، فقد كانت فضـلات المطبخ كلها لنا، وكذلك كل ما تبقى فوق مائدة الوزير أو السادة الآخرين من أهل البيت".

أما عمال الحديقة يقول جيمس لندر كاثكارث[4]: "ونحن عمال الحديقة لا نتلقى من الطعام سوى صـحن صـغير من اللحم مع المحمصـة وصـحن من البرغل وقدحين من اللبن الحامض في اليوم وهو غذاء لا يكفي لأربعة منا، وبين الحين والآخر يقدم لنا شـيء من الزيت والخل والخبز الأسـود". وفي سـنة 1812م أسـرى عشـرة طواقم تابعة للقبطان إدوين (*Edwin*) أصبحوا فيما بعد ملك للداي، وجهوا مباشرة للعمل في نقل الأحجار، وكان غذاؤهم من خبز أسود فاسد مع بعض من الزيت أو الحساء[5].

-طعام أسرى الخواص: ومن حسن حظ كاثكارث وأصدقائه أنهم عندما أسروا صدفة مع يوم العيد، وكان طعامهم في اليوم الأول من حبات من الزيتون الأسـود الردى مع بعض الخل وخبز خشـن قديم مع الزيت والماء. إذ يقول كاثكارث: وبهذه المناسبة قدم لنا برغل ولم نستطع أكله على الرغم من الجوع الذي ينهش أحشاءنا. ولو شفقة بعض الأتراك الذين قدموا لنا البصـل والبرتقال والزيت وشـيء من طعامهم الخاص. وعندما وصـلنا إلى بيت مالكنا قدم لنا لحم الجمل وكمية من البرغل وبعض السـمن القديم. وفي الصـباح أعطوا لنا البسـكويت

---

[1]- قرباش بلقاسم، "بانيوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)"، المرجع السابق، ص-ص. 136-137.

[2] - جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 26.

[3] - المصدر السابق، ص. 17.

[4] - المصدر السابق، ص. 26.

[5] - قرباش بلقاسم، "بانيوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)"، المرجع السابق، ص. 136.

والزيتون الأسـود وكمية من الماء، وكان ذلك في الميناء. وفي العشـاء قدم لنا لحم الجمل وبعض الخضـروات والفواكه مع شـيء من الخمر وبعض المأكولات فهو عشـاء لا بأس به. وفي أيام العيد يوم عطلة أحضـروا لنا فواكه الموسـم والخمر والخبز، والمأكولات المطبوخة والتي تأكل بدون طبخ[1].

-طعام العبيد: كان طعامهم يتكون من الخبز والزيتون والخل ورغيفين، يزن الرغيف الواحد نصـف رطل لكل شـخص. أما الخبز فهو من أسـوأ نوعية، يطحن دقيقه في مطاحن المدينة التي تدار بالفرسين[2]. ولا يسمح لهم تناول الخضروات واللحم، باستثناء الذين يعملون في البحرية إذ يحصـلون على عشـر حبات زيتون في اليوم[3]. وهناك من العبيد من يأكل الفئران والقطط لدفع غائلة الجوع الذي ينهش أحشـاءهم بحكم الضـرورة[4]. ومن الأطعمة التي لا يُسمح للعبيد المسيحيين تناولها الخمر. لقول جيمس لندر كاثكارث[5]:" وشرب الخمر محرم في القصـر، ومن يتعاطاها من العبيد المسـيحيين يعرض نفسـه للجلد. أما فواكه الحديقة فهي ممنوعة علينا ويحتفظ بها لاستهلاك الداي شخصياً".

3-نشاطات المسيحيين:

لقد اختلفت أعمال المسـيحيين في الجزائر أثناء العهد العثماني، وذلك على حسـب اختلاف فئاتها، وحسـب اختلاف مهارات الأشـخاص داخل الفئة الواحدة. فهناك من يصـفهم بقيامهم للأعمال الشـاقة، لكن الحقيقة هي على عكس ذلك، فهناك من المسـيحيين يتناسـون أنهم كذلك بسبب ما يعيشون فيه من رفاه. إذ ندرج الأعمال كالآتي:

أ-أعمال الأسـرى والعبيد: وينقسـم الأسـرى إلى: الأسـرى الذين يعملون داخل قصـر الداي: عند وصـول الأسـرى إلى الجزائر يتجهون فورا نحو قصـر الداي، أين يختارهم الداي والطهاة من بينهم الغلمان الأصـغر سناً لاستعمالهم في قصره للعمل بمختلف الوظائف يسند لبعضـهم تنظيف الغرف، والبعض الآخر غسـل الثياب، وعلى الآخرين مهمة خدمة الداي

[1] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص-ص. 19-20.

[2] – جيمس ويلسون ستفينس، المصدر السابق، ص. 269.

[3] – قرباش بلقاسـم، "بانيوات الأسـرى المسـيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)"، المرجع السـابق، ص. 137.

[4] -جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 60.

[5] – المصدر نفسه، ص. 26.

والاعتناء بغرفة ملابسه[1]. ففي الجناح الخاص بالداي يوجد كابودى جولفا(Capodi Jolfa) الذي هو أكبر العبيد في جميع الإيالة، باستثناء رئيس الموظفين المسيحيين ومعه أربعة آخرون من العبيد، وهؤلاء هم حرس الداي الشخصي، ولا يمارسون أي عمل آخر غير ذلك.

وفي الطابق الأول الذي يحتوي على جناح الخزندار يوجد أربعة عشر عبداً مسيحياً، عملهم هو ضمان نظافة هذا الجناح وحمل أطباق اللحم إلى مائدة الداي والخزندار، ولا أحد غيرهم يتدخل في عملهم، واثنان من هؤلاء مهمتهما الوحيدة تقديم القهوة للداي والزوار من العظماء. كما يوجد اثنان من المسيحيين عملهما تنظيف الجزء الأسفل من القصر وإضاءة الدرج للداي في الصباح، ومن مهامهما أيضا رفع أسرة الجنود الذين ينامون عند أبواب الخزينة[2].

أما عن الذين يعملون في المطبخ: فيقومون بتنظيف القصر وغسله بالماء وإشعال النار في المطبخ وذبح الغنم والدجاج وتنظيف البقول والخضر والصحون وجميع الأدوات المنزلية، كما أنهم يقومون بالأعمال المنزلية كلها بصورة عامة[3]. وأبرز مثال على ذلك ما قام به شرف دي فلامبير الذي سمح له طباخ الباشا بالدخول في خدمة المطبخ لمساعدة الطهاة، وجلب الخشب والفحم للطهي التي لا يمكن القيام بها إلا بالذراع الأيمن، إذ قدم خدمات جليلة للمطبخ[4]. وهناك من العبيد كناسين في القصر الذين يقومون بنقل القاذورات الكثيرة التي تجتمع في القصر كل يوم. وكذلك يوجد منصب القهوجي الذي كان يعد القهوة ويقدمها للداي والشخصيات التي تحضر لزيارته، ومن مهامه أيضا الإشراف على العبيد وتحمل مسؤولية سلوكهم[5]. وأسير الداي يمكن أن يصل بسيرته الحميدة إلى درجة كاتب في البحرية، أو كاتب سجن أسرى الدولة أو صاحب حانة[6].

---

[1] – جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 72.

[2] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص _ ص. 25 _ 27.

[3] – سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 18.

[4] – Latifa El Hassar Zeghari, ***Les Captifs d'Alger(d'après La relation de Emmanuel d'Aranda Jadis esclave à Alger XIII ème siècle)***, Ed: casbah, Alger, 2004, P.202.

[5] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص ، ص. 27 ، 112.

[6] – أحمد توفق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766_ 1791م). سيرته. حروبه. أعماله. نظام الدولة. الحياة العامة في عهده**، المرجع السابق، ص. 178.

إن الأسرى الذين لا يختارهم الداى للعمل في القصر يصبحون ملكا للدولة[1]. وملكا للبايلك أو ملكا للخواص، يكلفون بأعمال مختلفة كالعمل في ورشات البناء ومقلع الحجارة ومصانع الأسلحة وخدمة البساتين...إلا أنهم يتقاضون علاوات شهرية وهدايا متنوعة في المواسم والأعياد. ولا يحد من حريتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك[2].

-نقل الحجارة والأخشاب: من بين الأعمال التي كان يقوم بها غالبية الأسرى نقلهم للصخور من باب الوادي، إذ كانت هذه الحجارة هي الحواجز المانعة ضد أمواج البحر، وعلى العبيد أولاً أن يقوموا بتفجيرها، إذ يخرق ثقب داخل الصخور ويقوم عدد كبير بدحرجة الحجارة فوق عربة ذات أربع عجلات ونقلها إلى المرفأ[3]. وتارة يؤمرون بنقل الحجارة من المرفأ إلى الجامع الكبير. وكان العبيد يجبرون بحملها سواء الحامل ضعيفاً أو قوياً[4]. كما أخرجوا لنقل الحجارة من مدينة مخروط _بونة_، إذ يتم استخدامها في مقبرة المسيحيين[5]. كما يطلب من جميع الأسرى بالذهاب إلى الريف لقطع القصب مرة في كل سنة، ويحصل ذلك في الغالب في الجمعة الأولى من الأسر. إذ يستعمل هذا القصب لغرض صناعة السفن الخشبية في معاركهم[6].

أعمال البناء: ومن بين الأعمال كذلك نجد مهنة البناء الذي كان الأسرى ينقلون الصخور من مكان إلى آخر من أجل بناء شيء معين. فنذكر حصن الصخرة الذي هدم على الآخر، وبني به خير الدين رصيفاً يربط بين الجزر الأربعة القديمة والمدينة. وقد سمي برصيف خير الدين. وتابع هذا الأخير بناء الميناء القديم لمدينة الجزائر، إذ نقل إليها الصخور من مدينة تامنفوست[7] القديمة على أكتاف العبيد والأسرى المسيحيين[8]. وهناك من

---

[1] – حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص. 64.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ–العهد العثماني–**، ج: 4، م.و.ف.م، الجزائر، 1984م، ص. 105.

[3] – جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص–ص. 263–264.

[4] – المصدر نفسه، ص. 74.

[5] – Latifa El Hassar Zeghari, Op.Cit, P.204.

[6] – جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 291.

[7] – تامنفوست: مدينة قديمة تقع في الضفة الشرقية لخليج مدينة الجزائر.(أنظر: علي عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص. 170).

[8] – المرجع نفسه، ص. 170.

الأسرى من أصبح قائداً مثل مارثينودي فاركس الذي كان عاملاً من بين الأسرى ثم أصبح بعد ذلك رئيساً على بقية الأسرى الذين كلفوا ببناء منارة المسجد _مسجد خير الدين_. ولم تكن مهنة الأسرى بناء الحصن والمساجد الخاصة بالحكومة فقط بل تعدوا إلى بناء المنازل العامة وتبييضها بالجير[1].

-أعمال الورشات البحرية: إن الأعمال في هذه الورشات مختلفة ومتعددة منها صناعة السفن والحدادة والنجارة...وغيرها. إذ يستيقظ الأسرى كل صباح على صراخ الوريدان باش ويختار عدداً منهم للذهاب إلى العمل ويتم تكليفهم بعمل لا يتجاوز قوتهم حتى لا يمرضوا، وذلك خوفاً من فقدانهم. وهناك الكثير من الأسرى التي تسوء حالتهم الصحية، ويكونوا من الفئة الضرورية للذهاب إلى العمل، يتم تركهم في السجن[2]. فيعودون إلى المكان القريب من باب الجزيرة المفتوح في اتجاه الميناء حيث يتم تصفيفهم على امتداد أرصفة المنازل من كل جانب للشارع. ولما يصل وكيل الحرج يصعدون على ظهر مراكب البايلك ويتوجهون إلى السفن المتمركزة في أجزاء مختلفة من الميناء[3]. ليعملوا على بناء السفن وإصلاح القديم منها، وهذا ما جعل خير الدين يستعمل حوالي سبعة آلاف أسير أوروبي سنة 1530م في بناء وإصلاح السفن[4].

كما كانوا يقومون بتفريغ حمولات سفنهم التي تحمل المادة المختلفة من القمح والطحين...، وأيضا حمل السلاسل عند إرسال السفن الأجنبية لتفريغ حمولاتها هي الأخرى[5]. إن عمل البحرية أقل تعباً بالنسبة للعبيد، لكنه حتى هنا يخضعون في وقت ما إلى أعمال شاقة. خاصة عندما يكون هناك استعداد لحملة قراصنة، وفي هذا الظرف يجبرون على العمل ليلاً للقيام بالتحضيرات الضرورية للطواف. ويضاء الشاطئ بمصابيح، ويتمركز حراس الأتراك عند المرفأ، وفي أماكن أخرى لمنع هروبهم[6].

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792م)**، ط: 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص. 199.

[2] - M.r. Laugier De Tassy, ***Histoire du royaume d'Alger***, Ed: Loysel, Paris, 1992, P.276.

[3] - جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 268.

[4] - يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا(1500-1830م)**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص. 39.

[5] - جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص-ص. 73-74.

[6] - جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 268.

-أعمال التجديف: وهي عملية متعبة وشاقة كثيراً. إلا أنه في القرن 16م كان الضباط يجبرون على التجديف على متن السفن الحربية. ومع حلول القرن17م أصبح هؤلاء الضباط لا يعملون هناك، لأنهم أصبحوا مصدر للفداء بالنقود[1]. وأضحى العديد من الأسرى عاملين داخل السفن الحربية كمجاديف وهم مقيدون بالسلاسل من رجل واحدة[2].

-المهن العامة: لقد كان الأسرى المحترفين وضعيتهم أفضل بكثير من هؤلاء الأسرى غير المؤهلين. واشتغلوا كحدادين أو نجارين أو ملاحين...وغيرها من المهام الأخرى. إلاَّ أن الأسير من ذوي المكانة كرجال الدين والضباط، كانوا يعفون من العمل إلا في حالات تأخر دفع فديتهم[3]. ومن أجل الحصول على ما يكفي من المال لفدية أنفسهم فإنه في كل عطلة تفتح أبواب السجون، وكل من لديه عمل يرغب في الخروج من أجل جمع المال لدفعها إلى القائم الوريدان باش، ويجب أن يعود كل ليلة للنوم داخل السجن[4].

ب-أعمال القناصل والتجار: بالرغم من أنه في بعض الأحيان مهام القناصل والتجار واحدة فقد اتخذوا عدة أدوار. فالدور الأساسي الذي لعبه القناصل ليس بالدرجة الأولى حماية ورعايا دولهم أو المبادلات التجارية بين بلدانهم وبين الجزائر. وإنما حماية المصالح البحرية وسلامة أساطيلهم في البحر الأبيض المتوسط، ولذلك فإن الدول البحرية الكبرى كانت دائمة التمثيل في الجزائر، وغالباً ما كان قناصلها يتكفلون برعاية مصالح الدول الصغرى التي لا يصل نشاطها البحري إلى درجة اتخاذ قنصل لها في الجزائر[5].

ومن مهام القنصل أيضا الفصل في النزاعات بين الرعايا الأوروبيين بصفة رسمية، في مواجهة السلطات المحلية في المنازعات التجارية ومسائل الأحوال الشخصية. كما جاء في التمثيل الدبلوماسي من قناصل وتجار ورجال الدين، من أجل عقد معاهدات السلم بهدف تحرير الأسرى، وحماية تجارة بلدانهم في حوض البحر المتوسط[6].

---

[1] -جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 212.

[2] – جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 263.

[3] – محرز أمين، المرجع السابق، ص. 98.

[4] – Laugier De Tassy, Op.Cit, P.276.

[5] – أحمد بحري، المرجع السابق، ص. 54.

[6] – بليل رحمونة، **القنصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية(1564-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010-2011م، (غير منشورة)، ص. 252.

4-حصول الأسرى على حرياتهم بمدينة الجزائر:

إن عملية الافتداء من المسائل الشائكة بمدينة الجزائر العثمانية. فقد كان الأسرى المتواجدون بالجزائر يرغبون في الحصول على حريتهم، وهذا الشيء الذي جعل الحكومة الجزائرية وبلدانهم النظر إلى مسألتهم لافتدائهم. لقوله تعالى:"فَإِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ اَلرِّقَابِ حَتَى إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمُ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لاَنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ"[1].

فكانت عملية افتدائهم تتم بطرق عدة. إما عن طريق القناصل أو افتداء أنفسهم أو عن طريق عقد المعاهدات السلم بين البلدين أو عن طريق المنظمات وجهود القساوسة. وكانت تلك العملية صعبة جداً ومعقدة لأنها مرتبطة بطبيعة العلاقات الجزائرية الأوروبية.

أ-الافتداء عن طريق القناصل: لقد كان الواجب الأساسي للقناصل الأوروبيين هو الافتداء المباشر للأسرى، أو التدخل لدى السلطات الجزائرية نيابة عن المقبوض عليهم من أبناء وطنهم. ويتم اعتماد وسطاء أوروبيين من الدبلوماسيين، غالباً ما يكون من الفرنسيين أو من رجال الدين الأسبان[2] بالقيام بأعباء المستشفي التابع لبلادهم بمدينة الجزائر. وهو المؤسسة الوطنية الوحيدة ذات طابع اجتماعي مهتمة بشؤون الأسرى الأسبان. وقد كان القنصل الفرنسي بالجزائر هو الحامي لهؤلاء القساوسة المختصين في عمليات الفداء[3].

لقد أدت العلاقات السيئة في عدة مناسبات بين القناصل الأوروبيين والدايات إلى اشتداد الوطأة على الأسرى، ففي عهد الداي إبراهيم (1745 _ 1732م) أمر بوضع السلاسل للمقبوض عليهم ويُبْعَثْ بهم إلى الأعمال الشاقة حتى حصول الموافقة على مبلغ أعلى للافتداء[4]. بينما كانت الإيالة غالبا ما تتطلع إلى عقد الصلح مع الدول التجارية الفرنسية. وليس هناك سلام مع ملك الدولة الإسبانية، ولم يكن هناك قناصل يسهرون على افتداء الأسرى. فتصبح حياتهم ملؤها الفراغ، إذ تسعى الدول الأوروبية التي هي في حالة

---

[1] – سورة محمد، الآية 4.

[2] – حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص. 64.

[3] – حنيفي هلايلي، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الأسبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، المرجع السابق، ص. 248.

[4] – حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص. 65.

حرب معها إلى عقد معاهدات سلم. وهذا الشيء الذي جعل أي قنصل من أي دولة أن يتولى مسألة التفاوض من أجل تحرير مواطنيه مباشرة مع الرياس، كالدور الذي قام به القنصل الإنجليزي بتحرير سبعة أسرى انجليز بمبلغ 700بياسترة، بالإضافة إلى المبلغ الذي دفعه دارفيوا(*D'Arvieux*) أثناء تواجده بالجزائر قدر ب100 بياسترة لقرصان سالا لتحرير أسير فرنسي[1].

ب_الافتداء الذاتي: إن الأرقاء الذين بإمكانهم الحصول على نقود الفداء، كانوا هم بالدرجة الأولى المفضلين عند المشترين وما دام من مصلحة الضحية التقليل من قيمة مبلغ الفداء الذي يتوقعه، فإن المفاوضات بين الأسير والمالك تتميز بنفس الإثارة التي نجدها اليوم في سوق البضائع[2]. فالكثير من الأسرى كانوا يختارون العمل أو لديهم أعمال تدر بالمال مثل النجارة والحدادة...لأجل افتداء أنفسهم. ويقول دراندا (*D'aranda*)بعد الحوار الذي دار بينه وبين سيده على المبلغ لافتداء نفسه الذي وصل إلى 30مليون باتاغون، لكن درندا أجابه بأنه لا يملك شيء من المال إلا 15مليون باتاغون[3].

قام خير الدين في إحدى خرجاته إلى البحر بأسر 1800مسيحيا، ووزع الرجال على خدمة الأجفان، وقسم البنات والبنين على الغزاة ثم طلب من هؤلاء الأسرى فداء أنفسهم فقبض منهم 1000دينار من النحاس المطبوع عن كل واحد منهم فسرحهم إلى جزيرتهم[4]. وقد نصت معاهدات السلم بين الجزائر وفرنسا على الافتداء الذاتي. حيث وجد في البند الحادي عشر من معاهدة سلم أبرمت بين الجزائر والسيد كوكيل يوم جويلية 1640م:" إن الفرنسيين الذين لا يزالون هنا كالأرقاء الذين أخذوا من على ظهر الأجفان الإسبانية والموجودين في فرنسا فإنه سيتم بعون الله تحريرهم في أجل قصير وفي انتظار ذلك، فإذا وجد من بين الفرنسيين الباقيين هنا من يريد افتداء أنفسهم يستطيعون ذلك بنفس الثمن الذي اشتروا به أسيادهم[5].

---

[1] – بليل رحمونة، المرجع السابق، ص–ص. 195–196.

[2] – جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 212.

[3] – Latifa El Hassar Zeghari, Op.Cit, P.204.

[4] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 14.

[5] – جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619–1830م)**، م.و.ن.إ، الجزائر، 2007م، ص. 268.

ويقول كاثكارث: يشـــاهد الإنســـان باعة من المتجولين من مختلف الفئات، يتجولون بالليل ويعرضـــون بضـــائعهم وهكذا يتلاقى الإســـكافي والضـــباط والنجارون وصـــانعو البراميل...كل واحد منهم يعرض خدماته وبضائعه على السجناء. وهذا العمل مصرح به من قبل الســـلطات لبعض العبيد من هذه الفئة قبل أن يقل عدد العبيد في الإيالة، بأن يمارســـوا أعمالهم مقابل دفع دولار واحد في الشـــهر. وتوجد عدد من الحانات في مدينة الجزائر تراوح عددها من 27 إلى 30 حانة بما في ذلك الحانات الموجودة في الســـجن، يديرها عبيد مسيحيون يدفعون للحكومة رسوما كبيرة[1].

ج_الافتداء في معاهدات السلم:

الافتداء في معاهدات السلم الجزائرية الفرنسية: كانت فرنسا دائماً في إلحاح مستمر منذ البداية وحتى نهاية القرن 16م. وقد حصـــلت على امتياز في عامين (1581-1604م) إذ حصـلوا على ترتيبين نصـاً على إيقاف عملية السـلب، وإطلاق سـراح كل الفرنسـيين وكل الأشـياء التي سـلبت معهم[2]. نصـت معاهدة 21 مارس 1619م في بندها الرابع على انه لن يسـمح لقرصـان بلدانهم وممالك أخرى يسـوق الأسـرى من الفرنسـيين إلى الجزائريين أو إلى سواحلها، وإذا ما حدث ذلك فانه سيطلق سراحهم في الحال ومراكبهم وأمتعتهم. وعن معاهدة سـلم 7 جويلية 1640م التي عقدت مع الجزائريين من طرف السـيد كوكيل نصـت في بندها الأول:"كل شـخص من أية جنسـية الذين أخذوا في باسـتيون فرنسـا، وكذلك كل الفرنسـيين الأصـــليين الذين أســـروا بدون قتال، والموجودين حاليا في هذه المدينة ســـيطلق ســـراحهم، ويسـلمون إلى المعني دي كوكيل وكذلك كل المتواجدين في الأماكن الأخرى...فإنهم يسـلمون إلى القنصل أو إلى نائبه..."[3].

أما معاهدة 17 ماي 1666م من خلال بندها الثالث:"...إذا حدث وأخذ الفرنســـيون بالقوة إلى موانئ مدينة ومملكة الجزائر من طرف قراصنة ممالك وبلدان أخرى تابعة للسلطة، فإنه سـيطلق سـراحهم في الحال ونرد إليهم كل أمتعتهم. وعن معاهدة 24 أفريل 1684م فقد ذكرت هذه المسألة في الكثير من بنودها. نذكر على سبيل المثال بندها الثامن الذي تضمن:

[1] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص ، ص. 58 ، 101.

[2] – جمال قنان، المرجع السابق، ص. 44.

[3] – المرجع نفسه، ص ، ص. 246 ، 269.

"كل الفرنسيين الذين أسروا من طرف أعداء إمبراطور فرنسا وقيدوا إلى ميناء مدينة الجزائر...فإنه سيطلق سراحهم في الحال...". أما بندها التاسع فجاء فيه". أن الداي والباشا والديوان وأوجاق مدينة ومملكة الجزائر سيعطون منذ الآن أوامر لِولاتهم لجميع الأرقاء وتهيئتهم ليتم شراؤهم من طرف قنصل فرنسا بأفضل الأسعار. ونفس التسهيلات تتم في فرنسا إزاء رعايا مملكة الجزائر"[1].

وعن إبرام هذه المعاهدة التي تحتوي في معظمها على مسألة تحرير الأسرى، فإنه يدل على عجز فرنسا عن حل هذه المشكلة. وزيادة التوتر القائم بين الطرفين بين الحين والآخر، وعدم الالتزام بشروط المعاهدات المبرمة، حيث أن البنود التي نصت على عملية تبادل الأسرى بين الطرفين، فقد سارعت فرنسا بتتبادل بالأسرى المسنين العجزة والمرضى[2].

لقد ظهرت هذه المسألة عندما تعمدت فرنسا تضليل المسؤولين بخصوص قضية إطلاق سراح الأسرى بمقتضى معاهدة سنة 1684م، تعهدت فرنسا بإطلاق سراح عساكر الأوجاق وجنود البحرية الذين سيتم تبادلهم مع الأسرى الفرنسيين بالجزائر. وبدل إطلاق سراح هؤلاء قامت فرنسا بإطلاق سراح الأسرى المسلمين من البلدان الأخرى والذين اختارتهم من بين المسنين والمعطوبين. لقد وجد المسؤولون الجزائريون أنفسهم أمام وضعية جد حرجة، عندما وصل هؤلاء بمرسي العاصمة. لكنهم قرروا في النهاية رفض استقبال هؤلاء الأسرى في الوقت الذي صمموا فيه فك أغلال الأسرى الجزائريين الموجودين في فرنسا وبالفعل لم تهدأ العلاقات بين الطرفين إلا في سنة 1692م[3].

-الافتداء في معاهدات السلم الجزائرية الإنجليزية: إن علاقات الجزائر مع إنجلترا كانت سلمية قائمة على المصالح العامة قوامها الود والتعاون. لكن وجود هذه العلاقات الطيبة لم يمنع توتر العلاقات ونشوب حرب بينهم. وهذا الشيء جعل إنجلترا تعقد معاهدات مع الجزائر، وتم ذلك من 1655م إلى غاية 10 أفريل 1682م. وقد أشار إليها القسيس لوفاشي(*Levacher*) بأنها معاهدات مخزية لبريطانيا. إذ نصت هذه المعاهدات على أسرى

[1]. جمال قنان، المرجع السابق، ص ، ص. 285 ، 296.

[2]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 285.

[3]. جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، م.م.و.م، الجزائر، 1994م، ص. 51.

الجزائريين الذين كانوا في الأسطول البريطاني، مع استرجاع الأسرى البريطانيين المتواجدين في السجون الجزائرية دون مقابل[1].

وذكر أحمد شـــريف الزهار معاهدة عقدت بين الجزائر وبريطانيا ولم يذكر يوم عقدها وإنما ذكر فيها أنها عقدت بعد الكارثة البحرية الجزائرية، أطلق ســراح 12000أســير، منهم أســرى إمارتي نابولي وســردينيا الذين أطلقوا مقابل دفع 2500فرنك فدية لكل أســير نابولي و1500فدية لكل أسـير سـرديني[2]. وقد توسـطت بريطانيا العظمى فعملت إلى وضـع خطة لتحرير هؤلاء الأسـرى، وذلك بأن تدفع البرتغال إلى الجزائر مبلغ 690337 دولار فدية. وقد نجحت هذه الخطة فدفعت البرتغال وأطلق سراح أسراها[3].

-الافتداء في معاهدات السـلم الجزائرية الإسـبانية: كانت علاقات الجزائر مع إسـبانيا متوترة في كثير من الأحيان، فالكثير منهم الذين عرفوا بالمور عاشـــوا بالأندلس عدة قرون والذين طردهم الصـــليبيون الأســبان، وطاردوا أولئك المســلمين الفارين في بداية القرن 16م حين احتلوا وهران وبجاية ومدينة الجزائر[4].

ســـارعت فرنســـا إلى عقد معاهدة في أكتوبر 1768م نصـــت على تبادل الأســـرى الموجودين بين البلدين، واشـــترط الجزائريون أن تطلق إســـبانيا جميع ما لديها من الأســـرى مقابل اســـتطاعتها لافتداء الأســـرى الموجودين بالجزائر. إلا أن إســـبانيا وافقت على إطلاق سـراح 1200أسـيرا كانوا مسـتعبدين في بؤر التجديف، وأطلق الجزائريون سـراح 712 أسـير إســـباني مقابل دفع المال. وأعيدت نفس المعاهدة ســـنة 1773م، اشـــترطت الجزائر افتداء أسـيرين مسـلمين مقابل كل أسـير إسـباني ومن جراء هذا أطلقت إسـبانيا سـراح 1106 أسـير من المسلمين مقابل إطلاق الجزائريين سراح 570 أسير من إسبانيا[5].

---

[1]– مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، ج: 1، ط: 2، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص ، ص. 181 ، 190.

[2] – أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 128.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج: 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص. 253.

[4] – المرجع نفسه، ص. 252.

[5]– أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492 _ 1792م)**، المرجع السابق، ص _ ص. 209 _ 210.

حل بمدينة الجزائر مندوبان من إسبانيا هما الكونت داسبلى (*D'espilly*) والأميرال مازاريدو (*MAZZAREDO*)، وتوسط لهما قنصل فرنسا سبوكرس (*KERCY*[1]) لكن الداي محمد عثمان رفض عقد معاهدة معهم، ودامت المفاوضات سنة كاملة وأخيرا عقد معاهدة سلم وصداقة بينها يوم 14يوم 1786م[2]. وقد ذكر لنا أحمد شريف الزهار[3]:" لما كانت سنة 1199هـ أتى الأسبان للصلح، وأتى معهم بالأسرى الذين عندهم وأبدلوهم بأسرى النصارى. أما الأسرى الباقين من الأسبان، فدفع عنهم 1000دورو على الرأس الواحد، وكذلك دفع لأهل البلد قيمة الأسرى الذين بأيديهم 1000دورو لكل رأس. وحمل الأسرى ووقع بينهم الصلح".

_الافتداء في معاهدات السلم الجزائرية البرتغالية: كانت البرتغال دائما حليفة مع إسبانيا وبريطانيا ضد الجزائر[4]. غير أن البرتغال لم تختلف كثيرا عن إسبانيا، لكنها أضعف منها وتعلن الكثير من التبعية لحلفائها، وهذا الشيء الذي دفعها إلى دفع جزية سنوية للجزائر سنة 1810م كان هناك 615 برتغاليا في الجزائر[5]. وعلى الرغم من هذا إلاّ أن الجزائر عقدت أربع معاهدات سلم وصداقة بينها بين البرتغال في عهد ماريا الأولى:

معاهدة هدنة سنة 1785م في عهد الداي محمد عثمان.

معاهدة هدنة في 17سبتمبر 1793م في عهد الداي حسين.

معاهدة سلم في 28سبتمبر 1795م في عهد الداي حسن.

معاهدة سلم في 14يوليو 1813م مع الداي حاج علي[6].

وقد أورد أحمد الشريف الزهار أن البرتغال في سنة 1227هـ، عقدت معاهدة بينها وبين الجزائر، بعد أن توسطت له الوسائط لعقد الصلح ودفع مليونين ونصف ثمن الصلح.

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 50.

[2] – مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص. 169.

[3] – أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص. 34.

[4]– مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص. 91.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص. 253.

[6] – مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص _ ص. 91 _ 93.

وافتدت جميع أسراها الذين من جنسه 1000دورو لكل واحد، ووزع الأمير على العسكر من دراهم الصلح 10دورو لكل واحد[1].

د-الافتداء عن طريق جهود المنظمات وجهود القساوسة: في تلك الفترة وبحكم التوتر القائم بين الطرفين، إلاَّ أنه غالباً ما تتطلع إلى عقد الصـــلح مع الدول التجارية القوية، ولم يكن هناك سلام مع ملك الدولة الإسبانية، ولم يكن هناك قناصل يسهرون على مصالح رعايا الملك الإسباني. وهذا ما سعت إليه ودفع بقساوسة التنظيم التثليثي المقدس وافتداء الأسرى وتنظيم سيدة الرحمة إلى ملئ الفراغ الذي خلقته الحروب الطويلة بين الدولتين[2].

بالإضـــافة إلى تنظيم اللازاريون(*Lazariste*)، وآباء البعثة بزعامة (*Vincentdpaul*) وإلى جانب هذه التنظيمات في الفدية، كانت تقوم البعثات الدينية بعمل مســـتمر في أماكن تواجد الأسـرى، على أن يتعلق ويتمسـك بدينه وتقديم القداس أيام الأحد في كنائس السـجون وتقدم بصـــيانة المســـتشـــفي[3]. وهناك طائفة أخرى إلى جانب طائفة اللازاريون وهي طائفة التريتية، وكثير ما كانت الحكومة الفرنسـية تختار قناصـلها من بين آباء الطوائف، لأن أهم عمل كانوا يقومون به هو مســـألة افتداء الأســـرى[4]. ونحن ســـنحاول الحديث عن بعض المنظمات والطوائف التي سـاعدت بشـكل مباشـر أو غير مباشـر لعملية افتداء الأسـرى المتواجدين في الإيالة الجزائرية. ونذكر على سبيل المثال:

-جماعة الثالوث المقدس(*LesTrinitraires*): التي كانت تشـــرف على أهم عمليات الفداء بالجزائر. ففي سـنة 1789م كان لها حوالي 250 فرعا منتشـرة في البرتغال وإسـبانيا وإيطاليا[5]. وكان تنظيما فرنسيا بالدرجة الأولى[6].

-تنظيم سـيدة الرحمة: تأسـس سـنة 1232من طرف القديس بيير نولاسـك (*S.Pierre Nolasque*) ، وقال هذا الأخير "بأنه ســـينشـــأ على شـــرفه تنظيما، تعمل من خلاله على

---

[1] – أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 110.

[2] – جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 215.

[3] – علي تابليت، **بحوث في تاريخ الجزائر-الفترة العثمانية-**، ج: 1، مؤسسة ثالة، الجزائر، 2014م، ص. 80.

[4] – صلاح العقاد، المرجع السابق، ص. 37.

[5] – حنيفي هلايلي، "القرصـنة وشـروط افتداء الأسـري الأسـبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، المرجع السـابق، ص. 248.

[6] – جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 215.

تخليص العبيد المسـيحيين من أيدي أعدائنا"[1]. وعلى الرغم من القانون الذي طبقته حكومة الجزائر أن لا يجوز لأحد سـواء تركيا أو عربيا أو مسـيحيا أن يغادر القطر الجزائري دون ترخيص له في ذلك، وعندما وقع الصـلح مع إسـبانيا، قدمت هيئة آباء الشـكر لاسـترجاع الأسرى إسبانيا، وعرضت على الباشا أن تستبدل بهم الأسرى المسلمين من أتراك وعرب، لكن الداي لم يدخل ضمن هذه المناقشة فاتخذ ثمن أسرى إسبانيا[2].

-التنظيم اللازاري (*l'ordre lazariste*): قام القديس فانسـان دوبول بنشـاطات خلال القرن 17م باسم التنظيم اللازاري. وقد جاء هذا من خلال تقارير القساوسة والعرائض التي كان يرسلها الأسرى إلى الملوك، طالبين من خلالها الفداء والرسائل التي كان يبعثها هؤلاء لأهاليهم وأصـدقائهم يناشـدون فيها الفداء[3]. مثلا نجد تيدنا الذي يقول:"كنت أعيش السـنة الثالثة من عبوديتي، وكان أبي يكاتبني دائما ويعدني بقرب فديتي وأكد لي في رسالته الأخيرة أنه سـيضـحي ب3000 جنيها في سـبيل ذلك، في حالة ما إذا لم تنجح مسـاعي أسـقف الثالوث المقدس لمقاطعتنا التي وعده بها"[4].

_اهتمام الكنيسة البابوية بالأسرى المسيحيين: أولت الكنيسة البابوية اهتماماً كبيراً ببقية الأسـرى الأوروبيين المتواجدون في الإيالة الجزائرية، وقد سـميت رسـائل التوصـية بالوثائق البابوية تتضمن الوصاية على الأسرى. أما إرسال المبعوثين الكنسيين الذي أرسلهم الفاتيكان مابين(1650 _ 1830م) بلغوا 18 مبعوثاً، 8 مقيمين بالجزائر و10 غير دائمين أرسـلهم في مهمة المستعجلة المتعلقة برعاية لشؤون الأسرى المسيحيين[5]. وعند وصول المبعوثين إلى الجزائر[6]، يقدم المبعوث نفسه إلى سلطات الميناء، مصرحا بالمبلغ المالي الذي يحمله معه ثم يدفعه 3.5 بالمائة فيه كضـرب من واجب الميناء. وبالإضـافة إلى ذلك يقدم له الهدايا

---

[1] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص- ص. 38 _ 39.

[2] – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشـا داي الجزائر(1766-1791م) سـيرته. حرويه. أعماله. نظام الدولة. الحياة العامة في عهده**، المرجع السابق، ص. 179.

[3] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص _ ص. 40 _ 41.

[4] – احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسـرى خلال العهد العثماني _مذكرات تيدنا أنموذجا_**، دار الهدى، الجزائر، 2003م ، ص. 88.

[5] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص _ ص. 162 _ 163.

[6] – أنظر الملحق رقم 06.

للداي وإلى ممثل الديوان. أما قيمة الفدية فتحدد من طرف الداي وحين يدفع مبالغ الفدية يسلم الأسير إلى المبعوث ويعطي له معطف أبيض كرمز لثوبه[1].

-دور جمعية الأرشيكو نفر الترتيتاديل قونفالوني: تأسست هذه الجمعية عهد البابا كليمونت الرابع في(1265-1268م) وهناك مصادر حددت(1256-1270م) وهي جمعية ذات طابع ديني لكونها مباركة من الكنيسة البابوية، تؤكد شرعية العمل الذي تقوم به التي تعددت نشاطاتها، وارتبط ذلك النشاط بإحياء مراسيم التعميد للمسيحيين والمنصرين الجدد وافتداء الأسرى، عن أماكن تواجد أسراهم في البلاد الإسلامية، والتدخل بشأنهم لدى السلطة البابوية لإصدار رسائل التوصية وكان يطلق عليها اسم جمعية الأم[2].

المبحث الثالث: مرافق إقامة المسيحيين بمدينة الجزائر.

إن المسيحيين الموجودين داخل الجزائر، كان لازما على الحكومة الجزائرية أن توفر لهم مرافق إقامة لحمايتهم. فالسجون تمثل بالنسبة للأسير المنزل، أما المحاكم ترد لهم حقوقهم، والمستشفيات والكنائس فكانت تقدم لهم العلاج وممارسة طقوسهم الدينية. وعن القناصل والتجار كان لهم حرية استئجار بيوتاً ملائمة حسب فصول السنة وهي كالتالي:

1-السجون[3] والمحاكم:

أ-السجون: إن الأسرى الذين تم القبض عليهم من طرف الحكومة الجزائرية أثناء الغارات والحروب التي تجرى بينهم وبين الأوروبيين، يوزعون في الحمامات ليلاً. إلا أن الارتفاع المتزايد لأعداد الأسرى دفع بالحكومة الجزائرية إلى بناء مباني لهذا الغرض[4]. فهذه الأماكن بعضها ملك للإيالة والبعض الآخر ملك للرياس الأغنياء الذين يبنون البانيوات لأنفسهم ولغيرهم من المالكين الأرقاء. وكان هناك عدد من البانيوات التي تختلف حجماً

---

[1] – وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 153.

[2] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص _ ص. 164 _ 165.

[3] – السجون les bagnes: جمع سجن وجاءت هذه الكلمة الإسبانية بانو وتعني الحمام في البداية كان العبيد يسجنون في الحمامات خلال فترة الليل وفيما بعد تزايد عددهم وبنيت لهم عمارات خاصة عرفت باسم السجن.(أنظر: كورين تشوفاليه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510_ 1541م)**، تر: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007م، ص. 58).

[4] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص-ص. 15157-158.

وشكلاً، ومع ذلك فقد كانت متشابهة. إذ كانت سجون المدينة تشبه إلى حد كبير بالمنازل السكنية[1]. وهذا ما سنحاول شرحه.

هناك ثلاث سجون في مدينة الجزائر، حيث يتم حبس العبيد المسيحيين الذين ينتمون إلى البايلك ويهدفون إلى خدمة البحرية والأشغال العامة. تلك السجون الثلاث يطلق على الأول سجن البايلك وهو سجن كبير جدا. والثاني هو سجن سيدي حمودة أما الثالث اسمه سجن قاليرا[2].

-سجن البايلك: ويسمي أيضا بسجن بربروس وسجن الباشا، يعتبر من سجون الدولة، بني سنة 1531م من طرف بربروس[3]. وهو عبارة عن مستطيل طوله 70 قدماً وعرضه 40 قدماً يقع في طريق السوق الكبير المار من باب عزون إلى باب الواد على مسافة 400 قدماً[4]. مقسم إلى ثلاث طوابق، وجميع الشقق مبنية على شكل أقواس وليس لها نوافذ إذا استثنينا فتحتان بقضبان من حديد وإنما يدخل إليها الضوء والهواء من الأبواب[5].

أما الطابق الأرضي، فتوجد به حانات يديرها مسيحيون يدفعون إيجارها ثمناً مرتفعاً للحصول على رخصة لبيع الخمور والمأكولات فيها[6]. كما وجد به ساحة بوابة على جهة كنيسة وفي وسط الفناء وجد صهريج للمياه[7]. وفي الطابق الثاني والثالث من هذا المبنى فيه ممر واسع يمكن الدخول منه إلى غرف طويلة ضيقة. وهي الغرفة التي ينام فيها العبيد. أنهم ينامون في إطارات سريعة يقع الواحد منها فوق الآخرين أربعة طوابق. أما الذين يملكون المال منهم فينامون في الحانات أوفي صناديق صغيرة تسمى غرف بنية على طول الممر المذكور ويدفعون للإيالة إيجار لها مقداره يتراوح بين 12 و54 امون شهرياً[8].

---

[1]- جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 230.

[2] - Venture De Paradis, Op.Cit, P.52.

[3]- كورين شوفاليه، المصدر السابق، ص. 53.

[4] - Don Diego de Haedo, Op.Cit, P-P.203 - 204.

[5] - جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 57.

[6] - نصر الدين براهامي، المرجع السابق، ص. 89.

[7]- Don Diego de Haedo, Op.Cit, P.203.

[8] - جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 59.

ونظرا لسعة مساحة هذا السجن، فقد كان ينزل به عدد كبير من الأسرى[1]. من مختلف الجنسيات من بينهم أطباء ومثقفون وأساتذة. تراوح عددهم ما بين 500 إلى 2000 أسيرا مسيحيا[2]. إذ أن العديد من الملاك الخواص كانوا يقومون بأسر أسراهم هناك. خاصة عند انتظار الفدية لأنهم بذلك يبقون أسراهم في صحة وأمان لغاية قدوم الفدية، ولهذا الغرض يقومون بدفع مبالغ رمزية للحراس. أما مجال السجن فهو مفتوح بالنسبة للسكان المحليين وحتى العبيد المقيمين به ويسمح لهم بالدخول والخروج[3].

-سجن الباستارد: عرف بهذا الاسم بعد هزيمة حسن باشا ابن خير الدين بربروس للكونت دالكويت-الحاكم العام لوهران- في أوت 1558م في معركة مستغانم وأُسِر منهم 11000 إسباني. وهو مقسم إلى العديد من الغرف التي توضع داخلها بشكل خاص المسيحيين والذين يسمون بعبيد المخزن الذين يعتبرون ملك للجماعة والمدينة[4]. غير أنه يضم من400 إلى500 أسيرا لا أكثر[5]. يتمتع أغلبهم بحرية في الحركة بالرغم من ضيق المساحة، إلاّ أنه كان يحتوي على كنيسة يقيم فيها الأسرى الصلوات وقداسة أيام الأحد. وفي المناسبات والأعياد الدينية المختلفة، يأتي إلى هذا السجن العديد من المبعوثين الكنسيين ورجال الدين والقساوسة، وذلك بتقديم ما يعرف عند المسيحيين بالدعم الروحي[6].

كما يسمي أيضا بسجن المجدفين أو سجن جاليرا. سمى بهذا الاسم لأنه كان في السابق ينزل فيه العبيد الذين يجدفون في السفن الجزائرية. وهو مبني على نفس نسق السجن الأول لكنه يحتوي على طابقين[7]، وكل طابق يحتوي على عدد من الغرف الصغيرة. يعيش

---

[1] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص. 158.

[2]– قرباش بلقاسم، "بانيوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 _ 1830م)"، المرجع السابق، ص. 113.

[3] – قرباش يلقاسم، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1671 _ 1830م)**، المرجع السابق، ص. 257.

[4] .Don Diego de Haede, Op.Cit, P-P204 – 205.

[5] – قرباش بلقاسم، "بانيوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 _ 1830م)"، المرجع السابق، ص. 113.

[6] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص. 158.

[7] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص _ ص. 59 _ 60.

فيه أكثر الأسرى الأمريكيين بعد سنة 1785م[1]. وليس له نفس الطول، وأما الحانات فهي في نفس الموقع، والغرف المستطيلة في الجانبين متشابهين، لكنه يوجد فوق السطح صنفان من الغرف الصغيرة يقع أحدهما فوق الآخر ويسكنهما الأسرى الذين يستطيعون دفع إيجارها[2]. والشيء الذي ينزل خطورة عن هؤلاء الأسرى أنه يوجد عدد من الأسود والفيلة فهي تشكل نتانة لا تطاق، وأنها تقتل الأسرى الضعفاء والمسنين[3]. بالإضافة إلى الرائحة التي تنبعث من المستشفي المجاور، الذي يتصل مع السجن بممر مما جعل الجو في هذا السجن ولا سيما في الصيف لا يطاق ويبلغ المرء فيه درجة الاختناق[4].

-سجن سيدي حمودة: أخذ هذا الاسم من مالكه سانتون حمودة الذي دفن بالقرب منه[5]. فهو أصغر السجون الثلاث، ولكنه يحتوي على جميع أنواع البؤس والشقاء المشترك بين السجنين الآخرين[6]. إلاّ أن بناءه غير منتظم، يتكون من ثلاثة أو أربعة منازل قديمة يُربط بينها بممر. ووصل عدد العبيد في هذه السجون نحو 3000 من البؤساء الذين زجوا فيها نتيجة السياسة التي انتهجتها الدول التجارية[7].

وهناك سجون أخرى ملك للخواص مثل سجن علي بتشين الذي كان يتيح 550 أسير، سجن شلبي، وسجن سانت كافر في سجن الديوان وسجن الأسود الواقع في مكان "تبرنة البايليك" وسمى هكذا لاحتفاظ الداي في قسم منه ببعض الأسود، يقدمها كهدايا لبعض ملوك أوروبا، سجن خير الدين[8]. وعلى سبيل المثال نأخذ أشهر السجون الفترة العثمانية، سجن علي بتشين الذي كان عبارة عن بناية واسعة يوجد فيها مدخل ضيق، يؤدي إلى قبو كبير ومنه يدخل جزء بسيط من الضوء من شباك علوي، والذي لم يكن كافيا مما يستلزم إبقاء الفوانيس مضيئة كامل اليوم. ويوجد في الأقسام العلوية من البناية فضاء واسع يضم

[1] – علي تابليت، المرجع السابق، ص. 98.

[2] – نصر الدين براهامي، المرجع السابق، ص. 89.

[3] – علي تابليت، المرجع السابق، ص. 98.

[4] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 60.

[5] . Venture De Paradis, Op.Cit, P.51.

[6] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 61.

[7] – علي تابليت، المرجع السابق، ص. 70.

[8] – سعيود إبراهيم، المرجع السابق، ص. 159. أنظر الملحق رقم 07.

مجموعة شـــرفات للطابقين علويين، ويوجد بينهما عدة غرف، ومعبد واســـع للأســـرى يكفي استقبال 300 شخص[1].

ب-المحاكم: إن وجود علاقات تجارية بين الإيالة الجزائرية والدول الأوروبية، أدى بوجود تجار داخل الإيالة، بالإضافة إلى مسألة تواجد الأسرى المسيحيين. الأمر الذي جعل من تواجد قناصـــل دائمين لهم، وكان هذا الأخير لهم دور فعال في ذلك. والدليل على هذا هو إبرام الكثير من المعاهدات والاتفاقيات بين الطرفي لحماية هؤلاء المســـيحيين. إلاَّ أن فرنسا أول من تصدر هذا الأمر باعتبارها هي التي حصلت على امتياز القنصلية.

وفي أوائل شهر فبراير سنة 1536م تم الاتفاق بين المسيو لافوري سفير فرنسا والباب العالي، بمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي المحروسة. إذ نصت معاهدة 1536م، واتفقوا في أغلب بنودها منها البند الرابع والبند الخامس[2]، على حصول المسيحيين على الاســـتقلالية في القضـــاء بالإيالة الجزائرية، وأول من اســـتفادة من هذا الامتياز هي فرنسا[3].

ورغم العدد القليل للمســـيحيين إلاَّ أنهم كانوا يتحاكمون داخل القنصـــليات المســـيحية الموجودة في الجزائر[4]، إذ كانوا يملكون محاكمهم الخاصـــة بهم ولا يردون في أحكامهم إلى القوانين المعمول بها في البلاد. إلاَّ إذا تعلق الأمر بالمخالفات التي تحدث بينهم وبين المسلمين[5]، فإن الداي والديوان هم الذين يفصلون في هذه القضايا، وفي كل خميس يخرج القضاة إلى صحن الجامع الكبير ليستمعوا إلى المشتكين[6]. وتتألف المحاكم القنصلية من الأعضاء التاليين: القنصل ونائبه في حالة غيابه ووجهاء التجار الكبار المقيمين في الإيالة إلى جانب رجال الدين، مع التمييز بين مختلف الحالات التي يقع فيها الأجانب، إذا كان

---

[1]- قرباش بلقاسم، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1671-1830م)**، المرجع السابق، ص. 261.

[2] - لمعرفة المزيد من المعلومات (أنظر: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحســـان حقي، د: 1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص. 225).

[3] - المصدر نفسه، ص _ ص. 223 _ 224.

[4] - عمار عمورة، المرجع السابق، ص. 119.

[5] - ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 23.

[6] -عمار بوحوش، المرجع السابق، ص _ ص. 71 _ 72.

الأجانب من دولة واحدة. وإذا كان المدعون من جنسين مختلفين. أو إذا كان الخلاف بين رعايا الأجانب ورعايا الإيالة جزائريين والأتراك[1].

ولقد وردت بنود معاهدات تتناول استقلالية القضاء وضمان حقوق الرعايا المسيحيين. نجد معاهدة الجزائر مع إنجلترا سنة 1662م، نص بندها الثالث عشر على:"إن النزاعات التي تحدث بين رعايا جلالته أنفسهم فإنه لم يتم الفصل فيها إلاَّ من طرف القنصل"[2]. ثم أعيد سياق البند في معاهدة 1684م من بندها الثالث عشر:" إن الرعايا الإنجليز لا تتم محاكمتهم إلا من قبل القنصل" وفي نفس المعاهدة ورد في بندها الخامس عشر"إذا كان الخلاف بين رعايا السويد فلا يفصل فيه سوى القنصل السويدي"[3].

وفي معاهدة سلم بين إمبراطور فرنسا وحكومة مدينة ومملكة الجزائر يوم24 سبتمبر1689م، في بندها الثامن عشر:"...إن القنصل له كل الصلاحيات القضائية للفصل في المنازعات التي قد تنشب بين الفرنسيين ولا يحق للقضاة الجزائريين التدخل في ذلك". ويضم البند الرابع عشر:"إذا اعتدى فرنسي على تركي أو على واحد من الأهالي، فإنه لا يتم معاقبته إلا بعد استدعاء القنصل ليتولى الدفاع عنه، وفي حالة فراره فإن القنصل لا يعتبر مسئولاً عن جنايته[4].

نصت المعاهدة الجزائرية السويدية سنة 1729م، والمعاهدة الجزائرية الدنمركية سنة 1746م. الأولى ورد في بندها الخامس عشر:"إن الرعايا السويديين المقيمين في مدينة الجزائر، أو في أي مكان من أراضي هذه الجمهورية، يخضعون لقضاء الداي مباشرة أو ديوانه. ولكن إذا حدث نزاع بين الرعايا السويديين فالقنصل هو الذي يفصل فيه". ونفس الشيء نجد عن الدنمركي في بنده السادس عشر[5]. وإذا حدث نزاع بين الرعايا الأجانب

---

[1] – بليل رحمونة، المرجع السابق، ص _ ص. 245 _ 246.

[2] –جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500–1830م)**، دائر الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م، ص. 119.

[3] – بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 252.

[4] – جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500–1830م)**، المرجع السابق، ص. 119.

[5] – المرجع نفسه، ص، ص. 119، 311.

والأهالي أو التركي ويكون الطرف الأهالي هو الذي ضـــرب الأجنبي، فقد نصـــت معاهدة 1767م في بندها الرابع عشر على:"معاقبة الجاني حسب الجرم، وحسب قانون الإيالة"[1].

وما يجدر ملاحظته بهذا الصـدد هو الحق الذي أعطي لهؤلاء القناصـل في حضـور جلسات ديوان البحرية، للدفاع عن مصالح رعايا بلدانهم في النزاعات الذي يحدث بينهم وبين البحارة الجزائريين. وهو امتياز منحته الجزائر طواعية، رغبة منها في إقرار الحق والعدل عند الفصل في هذا النوع من المنازعات[2].

إن وجود عدد كبير من المســـيحيين في مدينة الجزائر، وبطبيعة الإنســـان المحب للاحتكاك بالآخرين، ينتج عنه عدة سلوكات جانبية مما يؤدي بالسلطات الحاكمة لمعاقبتهم. فالعقوبات التي وصفت في كتابات الأسرى الأوروبيين بغير موضوعية، واللامصداقية، فيما يخص طرق التعذيب لتحويل أسراهم إلى الإسلام...لكن هذا كلام خاطئ...لأن لا أحد يجبر على مالا يطيق لقوله تعالى: "لا اكراه في الدين". فالمســـيحي يتلقى حكما عادلا من طرف سيده عن أي معاملة سيئة قام بها ويثبتها.

فالعقوبة المطبقة على فئة الأســرى[3] في الجزائر العثمانية التي نســتشــفها من خلال المصادر والمراجع الأوروبية، فنحن لا نستبعد أنها لم تكن موضوعية أو لا تقر بالمصداقية. لكننا نأخذها بعين الاعتبار. يقول جيمس لندر كاثكارث[4]:" وعند مدخل الســـجن كان يقف حراس الســـجن في صـــفين، وجميعهم مســـلحون بالعصـــي والحبال الغليظة وغير ذلك من الأسلحة العدوانية. وأما الحراس من الجنود، فقد كانوا مسلحين بالتيجانات[5] وبالمسدسات، وأما حيطان الباب الخارجي فقد كانت مزينة بالهراوات وحبال الشنق والسلاسل والقيود. وعند دخولنا إلى ساحة السجن حيث تركونا نشتغل كما نشاء ونحن مكبلين بالأغلال التي تزن نحو 20 أوقية موضـــوعة فوق القدم، وقد أخبرني الســـجان بأن هذه الأغلال قد تبدل بقيود أخف من الحديد يوم الغد يدفع سكويت واحد من كل واحد منا إلى نائب مدير السجن و12 ماصون إليه، في مقابل أتعابه وثمن القيد".

---

[1]– بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 253.

[2] – جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500–1830م)**، المرجع السابق، ص. 248.

[3] – أنظر الملحق رقم 08.

[4] – المصدر السابق، ص _ ص. 53 _ 55.

[5] – التيجانات: سلاح بين الخنجر والسيف.(أنظر: المصدر نفسه، ص. 54).

وهناك من الجنرال من يرغم الأسير على أن يجيب عن بلاده مثل ما حدث مع درندا الذي جعله يستدعي الاتفاق مع الجندرال. ولما قدم درندا له 500 باتاغون من أجل الخلاص، إلاّ أن الجنرال لم يرض بذلك فكبله بالسلاسل من خمسة فروع التي كان وزنها على الأقل من 50 إلى 60 جنيها لإرغامه على الاقتراب من مبلغ 30000 باتاغون[1]. وهناك سبب آخر للتكبيل وهو الحالة التي يرتكب فيها العبد جريمة واستحق على ذلك سبيل العقاب[2].

ومن الأسرى الذين حاولوا الفرار نجد الأسير سيمون بفايفر[3] إذ يروي ما يلي:"وجدنا أنفسنا في ظرف يعجز القلم عن وصفه فقد أحاط بنا ثلاثة من الحراس الإنكشارية، وأخذوا يدفعوننا أمامهم...وعند وصولنا إلى القصر وجدنا المزوار ورفاقه في انتظارنا، إذ أن كبير أمناء القصر كان قد أمر بضربنا بالفلقة، فانقض علينا الجلادون كالوحوش الضارة وأوقعونا أرضا فكان نصيب كل منا 150 ضربة على الأقدام...وضللنا نتقلب عدة ساعات يتخللها فقدان الوعي أحيانا وكانت أقدامنا فقد انتفخت واتخذت لونا أزرقا غامضا وانسلخت بطون أقدامنا مما سبب لنا ألاما والتهابات حادة مرعبة".

وهناك من يقول: وعند القبض عليهم في حالة محاولتهم للهروب يتعرضون إلى الضرب بالعصا، والذي يتم بطريقة لا تؤدي إلى موت إلا نادراً، لأنه يعتبر جزءاً من ثروة سيده[4]. وغير أن معظم الأسرى وخاصة الذين يعملون في البحرية، يكبلون بالسلاسل الحديدية على مستوى الأرجل خاصة في الأوقات التي تبحر فيها السفن الأوروبية، من الميناء من أجل إفشال محاولات الفرار[5].

وهناك عقوبة على من يتطاول على الإسلام وإجبارهم على اعتناقه وهذا ما حدث لأحد رفاق سيمون بفايفر الذي تلقي عقابه من ضربات بالفلقة إلى أن فكت قيوده عند النطق بالشهادة"لا إله إلا الله محمد رسول الله"[6]. وهناك بعض الأسرى من يلقى على الأرض ويتلقى

---

[1] . Latifa El Hassar Zeghari, Op.Cit, P.203.

[2] – وليم شالر، المصدر السابق، ص. 27.

[3] – المصدر السابق، ص _ ص. 22 _ 23.

[4] – هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 43.

[5] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 101.

[6] – سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 52.

ضربات قوية وقاسية من طرف سيده تتراوح ما بين 20 إلى 300 ضربة على مستوى البطن والمؤخرة، وتحت تأثير الآلام يعلن إســـلامه من غير قناعة[1]. ومثال عن ذلك نجد إيمانيول دارندا (*Emmanuel d'Aranda*) عندما طلب منه سـيده أن يدفع 30 باتاغون مقابل حريته. لكنه أنكر أن لا يملك إلاَّ 15 باتاغون قال ســيده: أنزلوا هذا الكلب على الأرض وأحضــر الفلقة وهي عصـي من الخشـب يبلغ طولها أربعة أو خمسـة أقدام، ووجود ثقب في المنتصـف يمكن من خلاله تمرير سـلك صـغير تربط به القدمين بدقة على هذا العصـي إلى الكاحل، إذ أنزل على الأرض وألقى على ظهره ووضــعت العصــي على الأقدام جباية أعلى الســماء، وهناك رجلان يمسـكانه بنهاية ذراعيه حتى لا يتحرك أو يحدث جسـمه ضـجة والخامس يبدأ بالضـرب...تلقي ما يصـل إلى 200 ضـربة. ومن هنا سـأله القائد إذا كان يريد تغيير ديانته والتوجه إلى دين محمد ووعده أنه سـيجعله قبطاناً أو سـفينة مجهزة وبجعله غنياً. لكنه رفض ذلك ويرغب أن يموت مسـيحياً فواصـل الضـرب بالفلقة وتلقيه مئات الضـربات التي تجعله يموت أثنائها[2].

وهذه الأقوال التي اعتمدت عليها المصـادر المسـيحية لا يمكننا أخذها بعين الاعتبار، قد تكون مبالغ فيها لأن ديننا الإسلام يحثنا على الرفق والإحسان، فلا يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسـلام وشـرح صـدره ونور بصـيرته دخل فيه بنية، ون أعمى الله قلبه وختم على ســمعه وبصــره فإنه لا يفيد في الدين مكرها. لقوله عزوجل:"لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ"[3]. فالله سـبحانه وتعالى نهى عن الإكراه على دين الإسـلام من لم يرد الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم، واتبع المشركين الذين يعبدون غير الله.

وفي حالة ما إذا ارتد المسـيحي بعدما اعتنق الإسـلام فإنه يضـرب بالعصـي ويحرق. وهذا ما كان عليه أحد رجال الدين الأب جوزيف(*Père joseph*) الإسباني، الذي كان أسير علي بتشـين إذ ترك المسـيحية وأصـبح علجا، ثم عاود الرجوع إلى ديانته الأصـلية، فتعرض لمحاكمة الديوان والضرب بالعصا، ثم أحرق وسط المدينة[4].

---

[1] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 105.

[2] . Latifa El Hassar Zeghari, Op.Cit, P–P.204 – 205.

– أنظر: الملحق رقم 09.

[3] – سورة البقرة، الآية 256.

[4] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 101.

أما العبد الذين يرتكب السرقة، فتمثلت عقوبته بأن يضرب عددا من الضربات على بطن قدميه. كما أن الحبس هو العقوبة المعروفة بكثرة في تلك الفترة. إلاّ أن العقوبة الأكثر شيوعاً هي توجيههم إلى الأعمال الشاقة. وتطبيقا لقواعد الإسلام، لقوله تعالى:"والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[1]. وكان يحمل السارق بعد أن تقطع يده على حمار ووجهه إلى الخلف ويده معلقة على صدره يطوفون به شوارع المدينة لتشهد العامة عقابه ولا ينال هذه العقوبة إلاّ الأسرى الذين يتلقون بعض الضربات على أرجلهم، ولعل ذلك مرده إلى احترام رأي الشريعة الإسلامية إذ لا ينال العبد إلا نصف عقوبة الحر[2].

وعن جريمة القتل التي تصدر في حقهم عقوبة الإعدام، وغالبا ما تُنَفَذ فيه فوراً مقابل قصر الداي حيث ينتظر الجلادون الأتراك. إذ يطلب من المجرم أن يركع على ركبتيه ويمسكه أحد الأتراك من الجزء الخلفي لرأسه، وعندما يدور المجرم ليرى ما هو الأمر، يقطع رأسه فورا بسيف ليفصله عن كتفه، ثم يدفن جسمه في الرمل قرب شاطئ البحر، إذ لا يحق لهم الدفن بالطريقة الإسلامية[3]. وكانت عملية الإعدام تتم في باب عزون. والعبيد كانوا يشنقون أمام السجن الذي كانوا موقوفين فيه[4]. كما أن عملية الشنق تطبق على اليهودي أو النصراني، الذي ينقص من معدن العملة تقطع يده ويشنق ويطاف بجثته على ظهر الحمار في أرجاء المدينة[5].إذ أُجبِر الجراحون من الأسرى على القيام بالإجراءات المتعلقة بها[6]. والذين يشربون الخمر داخل القصر يجلدون أو يحولون إلى الأعمال الشاقة مكبلين بالسلاسل الحديدية[7].

---

[1] – سورة المائدة، الآية 37.

[2] – أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات _دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية_**، ج: 3، المرجع السابق، ص– ص. 8 _ 9.

[3] – جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 270.

[4] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص. 72.

[5]– هابنسترايت، المصدر السابق، ص _ ص. 39 _ 40.

[6] – فوزية لزغم، "الأطباء الأوروبيين بالجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة عصور**، ع: 21، جامعة وهران، الجزائر، جويلية–ديسمبر 2013م، ص. 246.

[7] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 101.

وهناك نوع من المخالفات التي تستوجب العقوبة وهي مخالفة الزنا. ففي يوم أمسك بمسيحيا يشغل الطحين في الطاحون مع امرأة، فغضب الداي وأمر بتعليقه أمام باب السجن، فعفي عنه وأمر بأن يجلد هذا المسكين وكذلك شريكته 200 جلدة بالسوط لكل واحد منهما[1]. وهنا يطبق الشريعة الإسلامية لقوله تعالى:"والزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ"[2]. وهناك نوع آخر أنه كان أحد المسيحيين مسجونا وضبط في بيت سيئة السمعة مع مسلم كان قد صادقه وأخذه هناك. وقدم الحكم على المسيحي بأنه مذنب لأنه خرق القانون الجاري به العمل في نصوص بيوت العهر. وكان المسيحيين ممنوع الدخول إليها والمسلم أيضا مذنبا بالتساوي لأنه وفر الوسيلة[3].

أما القناصل ومبعوثي الدول الأوروبية وممثلي الشركات والوكالات التجارية الأجنبية ورجال الدين. فكانوا يعيشون في معزل عن باقي السكان ولا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية، والقوانين المعمول بها في البلاد، وإن كانوا يتعرضون في بعض الأحيان إلى غضب الحكام واستبدادهم عند توتر العلاقات مع دولهم[4].

2-الكنائس والمستشفيات:

أ-الكنائس: لكل سجن كنيسة أو مصلي صغير في الجزائر خلال القرن 16م. من أجل ممارسة الأسرى لطقوسهم الدينية. فأول كنيسة مسيحية أقيمت بالجزائر العثمانية عرفت باسم سانتاكروز (*Iglesia de santa Crruz*)، في السجن الكبير سنة 1551م، أقامها الكاهن سباستيان دل يوبرتو((*Sebastian delpuerto* كما أقيمت كنائس أخرى بالسجون الأخرى في نفس الوقت. ويعود الفضل إلى تلك الضرائب التي تفرض على أصحاب حانات السجون في عهد الباى حسن بن خير الدين[5]. والمصدر الثاني: أن يقوم الراهب بجمع الأموال من أسرى السجن الذي تتبع له الكنيسة، وكذلك إن العديد من الأتراك والجزائريين يمنحون لهذه الكنائس تبرعات في شكل شموع وزيوت لإضاءة الفوانيس. إلاّ أنه في القرن 17م لاحظ أحد

[1] – عميراوي آحميدة، المرجع السابق، ص _ ص. 71 _ 72.

[2] – سورة النور، الآية 2.

[3] – وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 131.

[4] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 105.

[5] – علي تابليت، المرجع السابق، ص _ ص. 76 _ 77.

الفرنسيين أن الكنائس الموجودة في سجون الجزائر زينت بالشموع وزيوت الإنارة باهظة الثمن، إذ لا توجد كنيسة في إسبانيا بهذه العظمة[1].

وفي الثلث الأخير من القرن 17م كان ما لا يقل عن ستة كنائس بالسجون الجزائرية، وكل كنيسة من هذه الكنائس تضم على الأقل راهب واحد. وفي أوائل القرن 18م، وجد ثلاث كنائس في الجزائر وشهدت هذه الكنائس انخفاضاً وذلك راجع إلى انخفاض في عدد السجون[2]. ففي سنة 1594م قام كل من *الكاهنين* (*Juandeppacios* و(*Serrano Antonio*) بتنظيم(*Cofradia*) في السجن الكبير، وجد قائمة تضم ما يزيد عن 700أسير يشكلون منظمة رهيبة وكلهم من إسبانيا. وهذه الكنائس كانت تكتظ بالحاضرين أيام الأعياد وعيد الفصح، وعيد الميلاد، وعيد *الخميس*(*Pentecost*)، وعيد الصوم الكبير وعيد طقوس القربان(*Liturgy*) وسبت *النور* (*Holy Saturday*) وخميس الصعود (*Holy Thursday*) وأسبوع الآلام[3].

وعند أداء هذه الاحتفالات تصبح الكنائس أيام الأعياد ممتلئة، لدرجة أن المصلين كانوا يصطفون خارجاً، وفي هذا اليوم لا يدع الحراس (الأتراك) أي شخص يمر دون أن يدفع صائمة واحدة للدخول إلى المصلى، وهذا ما يجلب لهم مداخل كبيرة. وكانت الكنيسة تضم كل المذاهب الدينية المسيحية حيث سمح للأسرى بممارسة شعائرهم الدينية الكل حسب مذهبه. ولم تقتصر هذه الاحتفالات في السجون فحسب بل تمتد إلى المدينة. إلا أن الكنائس لم تقتصر على المذهب الكاثوليكي بل خصص بناء الكنائس في أحد السجون بالمذهب الأرثوذكسي اليوناني وحتى البروتستنتي... لهم الحرية التامة بتأدية طقوسهم، وهذا ما أكدته المعاهدة الإنجليزية الجزائرية سنة 1682م أن يكون للقنصل الحق في مكان الصلاة دون أن يعترضه أي إنسان بكلام أو فعل[4].

---

[1] – قرباش بلقاسم، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1671–1830م)**، المرجع السابق، ص. 284.

[2] – المرجع نفسه، ص _ ص. 284 _ 285.

[3] – علي تابليت، المرجع السابق، ص _ ص. 78 _ 79.

[4] – قرباش بلقاسم، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1671–1830م)**، المرجع السابق، ص–ص. 283–282.

غير أن الأتراك والأهالي أظهروا احتراماً كبيراً لرجال الدين الأسبان ودينهم، وذلك اعترافاً من (*Cracian*) كما نورد شهادة أسيرين هما (*Ossario*) وزميله (*Vivanco*) اللذين اعترافاَ أن هؤلاء الكلاب الملحدين –يقصد الأهالي– تركونا نحافظ على ديننا ونقوم بطقوسنا[1].

ب–المستشفيات: إن وجود الفئة الأوروبية في الجزائر أدى إلى وجود مصحات علاجية لمعالجتهم، وكان ذلك بمساهمة من طرف إسبانيا يشرف عليها رجال الدين. جاء الكاهنان الإسباني ديربورجومن و الأب دون سباستيان دو بورت إلى الجزائر العاصمة سنة 1546م من أجل إنقاذ الأسرى. وفي سنة 1551م عاد إلى الجزائر ليؤسس فيها دار للعلاج داخل سجن الملك. إلاّ أنه كان يعاني من ندرة الموارد المالية وهذا ما كان عاملاً في تدهوره، ومن ثم وجوب غلقه[2].

وفي عام 1575م أسس الأب كيسان المستشفى الإسباني الذي كان يعتبر أكبر مستشفى في مدينة الجزائر[3]، قدر ب60000 جنيه التي بعث بها الأمير دون فوان النمساوي الذي كان راهبا بها، إلاّ أنه كان يُسَير من طرف القدمين العاتقين في إدارة الثالوث _كنيسة الرحمة_[4]. لهذا قامت المنظمة الدينية للثالوث الأقدس بإنشاء مجموعة مستشفيات في سجون الجزائر في النصف الثاني من القرن 17م.

وهذا راجع إلى وباء الطاعون الذي حل بمدينة الجزائر والمدن الأخرى جمعاء. يصفها أبو القاسم الزياني[5]:"بعد إقامتنا بتلمسان سنة ونصف، خرجنا منها إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها وكان عاماً في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما نزلنا منزلاً إلاَّ وجدنا أهله يدفنون موتاهم". وضعت هذه المستشفيات تحت إشراف الأسبان وبتشجيع من الحكومة الجزائرية، وربما ينظر إلى هذه المبادرة كعملية علاجية دولية جماعية لأسرى

---

[1] – علي تابليت، المرجع السابق، ص. 79.

[2] – مصطفى خياطي، **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشوراتANEP، الجزائر، 2013م، ص–ص.83–84.

[3] – عائشة غطاس، "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة الثقافة**، ع: 76، م.و.ث ، الجزائر، 1983م، ص. 128.

[4] – مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص. 84.

[5] – **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة براً وبحراً**، تح وتع: عبد الكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991م، ص. 148.

الحرب. ويعود الفضل لإقامة المؤسسات العلاجية بالدرجة الأولى إلى جهود(*Pedro de la Conception*) من أعضـــاء جمعية الثالوث الأقدس، الذي جمع موارد مالية وهبات للمستشفيات. وحل بالجزائر سنة 1662م. وقد أسس مستشفيات اثنان منها في السجن الكبير والباقي في الســجون الأخرى وكانت إدارتهم العامة في الســجن الكبير. وقد كان الأســرى الأحرار هم من يقومون بخدمتها[1]. وعلى سبيل المثال نجد:

_المستشفيات التي أنشاها الراهب بيدرو غاريدور (Pedro *Carrido*): كانت من نفقته عام 1662م داخل سجون جنينه بالقرب من باب عزون، حيث قام بتأسيس مواردها وجعلها في الخدمة المداومة، وكان عددها خمسة، اثنان منها في سجن الباشا الجنينة (*la Pagane de génina*) والمســتشــفيات الأخرى في ســجن *الدوان*(*Dawane*) وســجن شــلبي وأخيرا مستشفي (*Sante Catalina*).

_المســتشــفي اللازاري(*L'hopital Fazariute*): الفرنســي الذي خصــص له الملك الفرنسي لويس الثالث عشر (1610 _1643م) إعانات مالية كبيرة[2]، قدرت ب 1200ليفر مقدمة من طرف لويس الثالث. وهو المستشفى الوحيد الذي بقي مفتوحاً بالجزائر العاصمة بعد سنة 1825م كونه كان مغلقاً في سنة 1793م[3]. وخلال القرن 18م أصبحت السجون الواقعة باب عزون تضم 50 سريرا[4]. وضم جميع العبيد المسيحيين من مختلف المذاهب البروتستنت والأرثوذكس والكاثوليك، يقبلون على المستشفى دون مراعاة لعقائدهم، وذلك بفضل تسامح رئيس الأطباء والصيدلي التي كانت أمور المستشفي تحت إدارتهما، وعلى الرغم من أنه لا يقدم فيه إلا القليل من الكماليات، فالطعام فيه جيد وصـــحي وكان معظم المرضى يعالجون في قاعدة واسعة[5].

وهناك مستشفى إسباني الذي أسسه فيسيره (*Vissirh*) ويساعده أحد رجال الدين المسنين لسلك رهينة عتق الأسرى، وهو يقوم بأعمال خيرية جمة لفائدة جميع الأسرى.

---

[1] – علي تابليت، المرجع السابق، ص، ص. 71، 73.

[2] – حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 77.

[3] – مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص. 88.

[4] – قرباش بلقاسم، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1671– 1830م)**، المرجع السابق، ص. 268.

[5] – جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص. 102.

ويلحق به جراح وصيدلي يقومان بمعالجة المرضى[1]. وكل هذه المستشفيات التي جاءت لتعتني بالأرقاء المسيحيين، فهي مفتوحة أيضاً لرجال التجارة البحرية المسيحيين ولبعض السكان المسلمين[2]. ولتأسيس هذه المستشفيات في القرنين 17و18م يجعلنا نلاحظ أن المرافق الصحية كانت من نصيب المنظمات الدينية المسيحية وفي صالح الأسرى المسيحيين، مما كانت تتصف به تلك المؤسسات من تواضع في السعة ومحدودية في الإمكانيات[3].

3-إقامة القناصل:

كان الناصل خلال القرن 16م وبداية القرن17م ينزلون في الأحياء اليهودية[4]، وفيما بعد أصبح هؤلاء الأوروبيين يُقيمون في دُورٍ مستأجرة[5] أو فنادق معينة أو أحياء منعزلة. كما سكنوا منازل أنشئوها في حامية باب الوادي أو حامية باب عزون أو في المرتفعات المشرفة على المدينة[6]. وبحلول القرن 18م حين وجد بين خمسة أو سبعة من القناصل الأوروبيين في الجزائر أصبحت هذه الخدمات منظمة بشكل مناسب[7].

وقد أقر حق امتلاكهم للإقامات في المعاهدات المبرمة بين الطرفين. إذ نصت معاهدة 1689م في بندها العشرين مع فرنسا"يعترف للقنصل بامتياز حق اختيار منزله، وكذلك الأمر بالنسبة للتجار مقابل دفع الإيجار". وفي معاهدة أخرى مبرمة مع الدنمارك في 10 أوت 1746م في بندها السابع عشر" على أن تكون هذه الإقامات على مستوى القناصل ويتم استئجار هذه الفيلات إما من الرياس أو من البايلك". حيث تتمتع هذه الإقامات بالحصانة وفق القانون الحديث يتم حرمة المسكن. وجاء ذلك في معاهدة 23 شعبان 1216هـ في بندها السابع عشر" إن مسكن المفوض الفرنسي يعتبر حرمة لا يجوز لأية قوة

[1] – هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 34.

[2] – جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 153.

[3] – عائشة غطاس، "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"، المرجع السابق، ص-ص. 128-129.

[4] – جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 152.

[5] – محرز أمين، المرجع السابق، ص. 99.

[6] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 105.

[7] – جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 152.

عمومية الدخول إليها، إلا إذا طلب المفوض الفرنسي نفسه ذلك من حكومة الجزائر"[1]. وقد تنوعت إقامتهم حسب الفصول فهناك إقامة صيفية بالريف وأخرى بالمدينة في فصل الشتاء:

أ-الإقامة الصيفية بالريف: تتواجد الإقامات القنصلية في فصل الصيف بفحص مدينة الجزائر إذ وصفها حمدان بن عثمان خوجة بأنها منطق للاستحمام[2]. فقد كانت هذه الفحوص مقر الرياس البورجوازيين والقناصل الأجانب... لوفرتها على الشروط الملائمة من طقس ومسكن وغراسة بمختلف أنواع الثمار والخضروات ووفرة العيون مثل: عيون القناصل. وتوجد بوادي القناصل أشجار الزيتون والخروب. إذ يحرص الجزائريون على بناء منازل جميلة ذات الطلاء الأبيض بمادة الجير[3].

وجد عددا من المنازل والفيلات عرفت بأسماء أصحابها، كقصر علي بتشين الذي سخر حوالى 400 من عبيده للعمل على تسوية التضاريس المحيطة بمنزله[4]. ولوجود جنانات في تلك المنطقة والمرتبطة بثروة التجار وجدت عدة فلات كفيلات عبد اللطيف وحمدان بن عثمان خوجة الذي يصف منزله[5].

وكانت هناك منافسات كبيرة بين القناصل من مختلف البلدان، على أن يكون منزل كل واحد أجمل من الآخر. إذ يحدثنا القنصل الأمريكي شالر عن منزله في مدينة الجزائر، بأن المنازل كلها مخططة ومبنية على نفس الطراز. فهو لا يختلف كثيراً إلا في الحجم والمواد التي بني بها." منزل مربع يبلغ طوله 40 قدماً من كل واجهة وارتفاعه 42 قدماً. وفي الطابق الأرضي توجد المخازن والصهاريج والإصطبلات والأقواس القوية التي تحمل المبني، وبقية المبني أي 28 قدماً عبارة عن طابقين على شكل دائري حوله حوش مفروش بالمرمر سعته 30 قدماً مربعاً يغطيها بهو مفتوح سعتة6 أقدام، ويقوم كل طابع على12 عمود من المرمر الإيطالي[6].

---

[1] – بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 119.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر لسابق، ص. 19.

[3] – بليل رحمونة، المرجع السابق، ص-ص. 121-122.

[4]– مروش منور، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني-القرصنة.الأساطير والواقع**-، ج: 2، دار القصبة، الجزائر، 2009م، ص. 270.

[5] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص-ص. 237-240.

[6] – وليم شالر، المصدر السابق، ص-ص. 94-95.

وكل واحد من هذه الأعمدة يكون سندا لأثنى عشر قوسا إهليجي الشكل في السطح، والسقف مسطح وله حاجز يبلغ ارتفاعه4 أقدم ونصف، ومن جهة البحر، وجد بهو آخر مقسم إلى عدة شقق صغيرة، كانت شقق المنزل ضيقة جداً لاحتوائها على4 واجهات غير مربعة في مناخ أقل حرارة. تواجه واجهتا المنزل البحر ولهما نوافذ. والمنازل التي تقابل منازل أخرى لا توجد فيها نوافذ إلاَّ في الأحواش. وهناك منزل آخر يدخل ضمن حيطان المنزل الكبير، وهو يعمل عادة لإيواء النساء أو الأسرة التابعة لصاحب المنزل الكبير أو لسكن ابنه المتزوج، وقد تكون مطبخاً أو كاتب أو حمامات. وجميع المنازل توجد بها شقق صغيرة لاستقبال رب البيت للزوار. ويتولى المعاملات، لأن الأجنبي لا يسمح له بالدخول إلى المنزل بسبب وجود النساء، ولا يمكنه أن يدخل منزل عائلة جزائرية[1].

ب_ الإقامة بالمدينة في فصل الشتاء: كانت القنصليات تتجمع في الحي الأسفل بالقرب من حي البحرية، وفي شارع واحد سمى بشارع القناصل[2] (*La rue de consuls*). كانت الإقامة في أعلى حي الرياس لأن أعلى المدينة ممنوعة على الأوروبيين. حيث أقام القناصل في منازل ذات طابع إسلامي موريسكي، يتم استئجارها من البايلك، وكان على مقر كل قنصلية علم بلده في الريف أو في المدينة.

قد يضطر بعض القناصل إلى تغيير مقراتهم كما حدث للقنصل الفرنسي في سنة 1798م، فهذا التغيير لم يكن إرادياً بل فرض عليهم وذلك لحدوث بعض المشاكل[3] وهناك شهادة " نحن دومنييك مولتيدو (*Dominique Marie Moltido*) القنصل العام للجمهورية الفرنسية وانتوان سليف (*Sielve Antoine*) موثق القنصلية وميثال لوكونت (*Michel le Cointe*) الكاتب الخاص، أنهم كانوا فوق سطح المنزل متجهين ظهورهم للمسجد فصاح فينا أحد الجزائريين بضرورة النزول من السطح..."هذا لأن السطوح تستعمل للنساء الجزائريات فقط الممنوع عليهم بالخروج مما أضطر لتغيير أماكنهم. وكان على باب كل قنصلية أجنبية في مدينة الجزائر حارسان إنكشاريان لحراسة القنصلية ولضمان سلامة المبعوثين الدبلوماسيين، وذلك ما نصت عليه الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر والدول

[1] – وليم شالر، المصدر السابق، ص. 95.

[2] – شارع القناصل: يمتد من البحرية إلى شارع حمام ملاح.(أنظر: بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 126).

[3] – المرجع نفسه، ص _ ص. 126 _ 127.

الأوروبية، وللقنصل الحق في استبدالهما إذا رأى فيهما أي نقص في أداء الوظيفة المنوط بهما[1].

-استنتاجات:

- شهدت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1519 _ 1830م) توافد المسيحيين الذين يتشكلون من فئتين، فئة الأسرى والعبيد والتي تميزت بتزايد عددها على فترات مختلفة، وهناك فئة الأحرار من القناصل والتجار وبعض الرحالة والمستكشفين.
- تميزت الحياة الاجتماعية للفئة الدخيلة بمدينة الجزائر خلال فترة الدراسة، بحسن المعاملة والرعاية التامة من قبل الأهالي والحكومة الجزائرية، باعتبارهم فئة من فئات المجتمع الجزائري. ويظهر ذلك جلياً من خلال اللباس والطعام الذي كانوا يتلقونه، أما أعماله فتنوعت حسب كل فئة فهناك من الأسرى يعمل في الصناعة والبحرية...وغيرها من الأعمال الأخرى وهنا من أتى من اجل التجارة أو بوظيفة القنصل.
- تمتعت هذه الفئة بمرافق لإقامتهم وحمايتهم، إذ وجدوا حرية التنقل داخل المدينة في النهار ولا يدخلون السجون إلا ليلاً. أما بالنسبة للقناصل والتجار فلهم أماكن خاصة لإقامتهم. فدولهم سعت لتوفير لهم الأمن من خلال عقدهم لمعاهدات تحفظ لهم مايلي: محاكم خاصة بهم تحكم بينهم وتحفظ حقوقهم. وممارسة شعائرهم الدينية في الكنائس الموجودة داخل السجون. وكذلك وجود مستشفيات من أجل رعايتهم الصحية.

[1]. بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 127.

الفصل الثاني

علاقة المسيحين بالسلطة خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الوظائف الحكومية للأسرى المسيحين

المبحث الثاني: الجوسسة

المبحث الثالث: التمثيل الدبلوماسي

سنتناول في هذا الفصل دور المسيحيين الموجودين داخل مدينة الجزائر العثمانية على الحكومة الجزائرية. لنبين مدى العلاقة بين المسيحيين والسلطة الحاكمة.ومن هنا نطرح السؤال، فيما يتمثل دور الأسرى في ربط علاقاتهم بالحكام؟ وكيف كان تتعامل القناصل مع الفئة الحاكمة؟ وماذا نتج عن هذه العلاقة؟ وهل يظهر دورهم في بناء العلاقات السياسية الخارجية بين الحكومة الجزائرية والدول الأجنبية؟

المبحث الأول: الوظائف الحكومية للأسرى المسيحيين.

1-الجيش:

إن الجيش الذي اعتمدت عليه الدولة العثمانية في إيالاتها سمي بالجيش الإنكشاري[1]. وكان النواة الأولى للجيش في الجزائر من الذين أرسلتهم الدولة العثمانية إلى خير الدين[2] في أواخر القرن 14م، يتشكل من الأطفال المسيحيين الذين استولى عليهم العثمانيون في المقاطعات الأوروبية التي يسيطروا عليها، ويربونها تربية دينية إسلامية إلى أن يصلوا سن البلوغ[3]. وتأسس هذا اللفيف الأجنبي سنة 1326م، بأمر الوزير الأكبر علاء بن السلطان عثمان الأول وباركه شيخ الطريقة الصوفية الحاج باكتاش[4].

ففي القرنيين 16 و17م عندما كانت مدينة الجزائر البحرية رمزاً للقوة والنظام والتحدي، كانت قبلة للرّحالة والتجار وللسبيل الدائم من المتطوعين لخدمة الجزائر من المسيحيين الذين ينقلبون بمجرد التحاقهم بالجزائر إلى مسلمين. والذي زاد في خطورة الوضع، وساهم في تدهور القوة العسكرية الإنكشارية لإيالة الجزائر، هو اتساع عملية التجنيد لتشمل حتى المسيحيين واليهود الذين أصبحوا يتظاهرون بالإسلام. ليتمكنوا من الانخراط في الجيش، والاستفادة من الامتيازات التي يوفرها لهم هذا الانخراط. ففي الفترات الأولى كانوا يختارونهم

---

[1]. أحمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994م، ص. 53.

[2]. مراد الأول: (1326_ 1389م) سلطان عثماني شهد عهده توسع الدولة في الأناظول والبلقان. هزم البيزنطيين فاستولى على أدرنة واتخذ منها عاصمة له عام 1362م، استولي على صوفيا عام 1385م، أنشأ الفرقة الإنكشارية.(أنظر: منير البعلجي، **معجم أعلام الموارد**، إع: رمزي البعلجي، ط: 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص. 421).

[3]. صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي(1514 _ 1830م)**، دار هومه، الجزائر، 2012م، ص. 311.

[4]. أحمد السليماني، المرجع السابق، ص. 53.

من النُّزهاء والصـلحاء، لكن في الفترات الأخيرة فتحوا أبواب المليشـيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدبوا أو أدينوا[1].

إن الشـروط الضـرورية لانخراط المسـيحيين في الجيش هو اعتناق الإسـلام طواعية ودون إكراه. بعضـهم اعتنقوا الإسلام بعد وقوعهم في الأَسَر. وذلك لتلبية رغبتهم في المغامرة والنهب. والبعض الآخر فقد كان صـادقاً في عقيدته الجديدة وأبلي البلاء الحسن في المعارك العثمانية ضـد النصـارى، كما سـاعدوا الأتراك بالمعلومات حول الأراضـي والشـواطئ الأوروبية[2]. كان نظام الجيش التركي في الجزائر يتكون من العناصـر الآتية: مشـاة الأتراك والفرسـان والبحارة... هذه الأخيرة هم لفيف من العزاب وصـل عددهم إلى ألف رجل فما فوق وأغلبهم من المسيحيين المعتنقين لدين الإسلام[3].

أما المسـيحيون الذين دخلوا ضـمن طائفة الرياس كان تنظيمهم محكم جداً. فطائفة الرياس توظف من ثلاثة مصـادر أسـاسـية: من المتطوعين من المدن الإسـلامية وهواة البحر من الموظفين ومن الأتراك والمسـيحيين بعد إسـلامهم. هدفهم تشـكيل وحدة متضـامنة تنتمي الجزائري الذي عرفت الجزائر من خلاله عدة أبطال ذاع صيتهم أمثال علج علي[4]، فنزيانوا[5] وأرنؤوط...وغيرهم من الأعلاج[6].

---

[1]ـ محمد بوشنافي، " تجنيد المتطوعين للجيش الإنكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق"، **مجلة عصور الجديدة**، ع: 13، أبريل 1435هـ /2014م، ص _ ص. 135 _ 136.

[2]. عمار عمورة، المرجع السابق، ص. 116.

[3]ـــ محمد ميمون الجزائري، **التحفة المرضـية في الدولة البكداشـية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط: 2، ش.و.ن.ت، الجزائر،1981م، ص _ ص. 36 _ 37.

[4]ـ علج علي: ينحدر من أسرة فقيرة في ليكاستي (Licastelli)، بنواحي كالبر جنوب إيطاليا قرب رأس الأعمدة. ولد على الأرجح سـنة 1500م وهناك من يقول 1508م. اشـتغل في الصـيد ثم عمل في السـفينة كملاح، وألقي عليه القبض من طرف المسلمين عند سواحل جنوب أوروبا سنة 1520م، كان من نصيب علي أحمد رايس، عمل جدافاً، إذ كان مصـاب بمرض الصلع الذي كان سبب في إحراجه من طرف زملاءه اعتنق الإسلام، وهناك من يقول من أجل أن يفر من العقوبة. اعتنق الإسلام على يد حسن بن خير الدين، وتولى منصب في مقاعد سفينة المسلمين فهذه الآراء قد تؤدي إلى التشكيك في إسلامه. وهنا نلاحظ حياته وأعماله ومواقفه بعد إسلامه وحدد شخصيته بشكل خاص رجل حازم، رزين، قوى الشكيمة، وفته المنية سنة 1587م .(أنظر: محمد سي يوسف، **أمير أمراء الجزائر علج علي باشا**، دار الأمل، الجزائر، 2009م، ص ، ص. 69 ، 75).

[5]ـــ فنزيانوا: تولى الحكم بالجزائر في شهر جوان 1577م، وأصله من إيطاليا، نشأ محترفاً مهنة الكتابة بمدينة البندقية ولذلك وعي فنزيانوا. أسره درغوث باشا، ثم كان عبداً لعلج علي وأسلم وكان ينسبه إليه فيقال ابن القبطان علي.(أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 3، المرجع السابق، ص. 101).

[6]ـ علي خلاصي، **الجيش الإنكشاري في العصر الحديث**، ط: 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007م، ص _ ص. 170 _ 171.

كذلك وجود أنواع أخرى من الفرق العسكرية غير الرسمية إلى حد ما، نجد مثلاً فرقة كاملة من جنود الأسبان وهي فرقة المرتزقة، أسروا عندما حاول الأسبان احتلال مستغانم، وطلب منهم أن يتخلوا عن دينهم ويحاربوا لصالح الباشا مقابل حريتهم[1]. وكان الأعلاج يشكلون النصف الأول من القرن 16م، أغلبيتهم في طائفة الرياس وعلاوة لدورهم الهام على الصعيد الخارجي، كانوا بمثابة حاجز صلب أمام هجمات الأساطيل الأوروبية الموجهة ضد الجزائر. مما عرف عددهم ارتفاعاً ملحوظاً في القرن 17م، نتيجة التطور الذي عرفته البحرية الجزائرية[2].

2-علاقة المسيحيين مع الحكام والعناصر النافذة:

أ-علاقة الأسرى بالحكام: لقد شهد الأسرى علاقات جيدة مع أسيادهم، بسبب قربهم إليهم وجعلهم يتولون بعض الوظائف، أثروا فيها كمستشارين أو وزراء وأطباء وغيرها من الوظائف الحساسة. ومثال عن ذلك نجد بعض الأسرى المحضوضين بفضل خبرتهم التي يمتلكونها نجد: الأسير تيدنا وسيمون بفايفر وجيمس لندر كاثكارث...وغيرهم.

-الأسير تيدنا[3]: الذي كان عبداً عند باي معسكر محمد الكبير. ثم اشتراه رجل يهودي من مدينة الجزائر، فانتقل رفقة الوكيل إلى باليك الغرب أين استقبله عبيد الباي المسيحيين قائلين:"انتظرك الباي منذ مدة طويلة لكي يجعل منك خزندار[4] له". إذ يقول:" ها أنا ذا أخيراً أرتدي ثياب الخزندار، وأصبحت كذلك فعلاً من دون أن أعرف ما يعنيه هذا الاسم". وقد أوصاه سيده إذ قال:"...بعث إلى الحضور إليه وأمرني بالاقتراب منه وقال لي هذه العبارات بحنان...لقد اشتريتك لكي تكون لي عبداً لي وفي خدمتي، ولكن إذا كانت سيرتك حسنة، فلا

---

[1]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 109.

[2]- أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية(1519-1830م)**، ط: 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016م، ص. 41.

[3]- تيدنا: ولد عام 1758م من عائلة كاثوليكية، عملت على جعله رجل دين لكنه رفض الرهبنة، عمل على متن سفينة إسبانية تنقل الخمر من ماطا إلى مرسيليا والتي وقعت في قبضة البحارة الجزائريين.(أنظر: احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص ، ص. 32 ، 33).

[4]- الخزندار: بكسر الخزندار: لقب للذي يتحدث عن خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما، وهو موكب من خزانة، وهي ما يخزن فيها المال، وكلمة دار معناها ممسك، والمقصود ممسك الخزانة.(أنظر: محمد أحمد وهمان، المرجع السابق، ص. 68).

ينظر كذلك، وسوف أعينك لتكون قريباً مديراً لكل منزلي، فاحرص على ألاَّ تخيب ظني،...كن خادماً طيباً بمقدار ما أنا سيد طيب"[1].

كان سيده شديد الرغبة في تحويل عقيدته إلى الديانة الإسلامية، لكن تيدنا غير راغب في اعتناق الإسلام، رد عليه سيده قائلاً:"أتريد أن تبقي مسيحياً دائماً...صدقني كن أخاً لنا ولا تجعلني أخجل من صداقة رجلٍ عقيدته عكس عقيدتنا".اغتنم تيدنا فرصة ذهابهم إلى مدينة الجزائر لتقديم الدنوش للداي. فتحدث مع القنصل عن أمر فديته وأجابه:" لا تكن مغفلاً وتصدق هذا الوهم، لن ترحل أبداً ستصبح تركياً بمجرد رجوعنا إلى المعسكر وسأرغمك على ذلك بأقصى قوة". فرد تيدنا:" إنه لا يوجد شيء يستطيع منعي ما دامت فديتي قد وصلت، إني فرنسي وبمجرد وصول فدية العبيد التابعين لهذه الأمة لا يحق لأحد أن يعارضها"[2].

وهناك الأسير سيمون بفايفر[3] الذي أصبح طبيباً. كان أسيراً عند الداي. إذ كان عاملاً بالمطبخ، يروي قصته قائلاً:" ذات يوم زار الوزير المطبخ ويسأل عن تصرفات العبيد، فشكرني رئيسهم هناك، ثم سألني الوزير عن المهنة التي تعلمتها سابقاً في أوروبا، فأجبته بأني تعلمت الجراحة...ومر على هذا الحديث عدة أسابيع وذات يوم جاءني أمين القصر وقال لي أن المولى يطلب مساعدتك"[4].

رغم المهنة التي تعلمها، وقد كان مسيحياً إلاّ أن الوزير أحس بأنه بحاجته وطلب مساعدته لكن بفايفر رد سريعاً وذهب إليه قائلاً:"لقد اشتدت عليه وطأة المرض...غير أنني لاحظت أن لديه التهاباً في الكبد...وواصلت علاجه لمدة ثمانية أيام، وفي اليوم التاسع قام الوزير". ولما شفي الوزير أهداه بعض الأشياء مقابل علاجه الناجح، ومن بين هذه الأشياء

---

[1]. احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص _ ص. 58 _ 59.

[2]. احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص ، ص. 108 ، 112.

[3]ـــ سيمون بفايفر: ولد بمنطقة راينهيسن(Rheinhessen) حوالي1810م تعلم في المدرسة وفي سن الثالثة عشرة شعر بميل شديد في فن الجراحة فاقبل على دراسته، سافر إلى هولندا واثقاً أنه سيجد عدداً من معارفه ولما تجاوز السن 15 وصل إلى امستردام وأرسله أحد معارفه إلى أمير البحر والتحق بأحد الثكنات البحرية. وفي شهر ديسمبر 1824م صدرت الأوامر بمغادرة الميناء لحماية السفن التجارية من هجمات القراصنة. ثم قبض عليه من طرف الإنكشاريين وقادوهم إلى سفينة جزائرية، ووصل بعد 25 يوماً إلى الجزائر وأصبح عاملاً في المطبخ.(أنظر: سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص _ ص. 4 _ 5).

[4]. المصدر نفسه، ص _ ص. 25 _ 26.

اتخذه طبيب له قال بفايفر:"...واتخذني طبيبه الخاص... بصـــراحة لقد تحولت من كلب معرض للمعاملة السيئة من طرف الطهاة وبقية الأتراك، إلى طبيب خاص للخزناجي أفندي". ووظيفته انحصـــرت في معالجة الوزير وغيره من أفراد القصـــر، والداي الذي لا يملك طبيباً خاصاً، يستشيره إما بواسطة الوزير أو بواسطة أحد خدامه[1].

ومن بين الذين بلغوا مرتبة عالية أيضـا في السـلك الإداري الجزائري، الأسـير الأمريكي جيمس لندر كاثكارث[2] فبعد أسـره سـنة 1785م وقبل أن يطلق سـراحه كان قد أصـبح من كبار الموظفين بالقصـــر. إذ يقول جيمس لندر كاثكارث[3]:" ســنة 1799م شــغل منصــب القهواجي وهي إعداد القهوة وتقديمها للمدير العام والشخصيات التي تحضر لزيارته. وأيضـا منحني الإشراف على العبيد وتحمل مسؤولية سلوكهم، وقد كان من واجبي أن أقدم تقريراً عن كل من يســـيء التصـــرف منهم...كما انضـــميت إلى دولاكروز في مهمة موظف البحرية لأشاركه هذا المأوى. وكانت وضعيتنا الجديدة محتلمة...".

بقي كاثكارث في منصـــبه حتى ســـنة 1788م وبعد خلاف دار بينه وبين نائب مدير الســـجن عن قضـــية خطئه في حســـاب المبالغ التي يســـلمها إلى الخزينة العامة. إذ يقول:" فطردت من العمل وعدت إلى الحانة من جديد لبعض الوقت، فبســـبب وباء الطاعون مات ثلاثة موظفين ثم عينت مكانهم موظيفاً في ســـجن جاليرا، ومهام هذه الوظيفة هي الإشـــراف على العبيد ومراقبتهم وتقديم تقرير عند موت أحدهم أو مرضـــه، والتأكد من توزيع الخبز الأســـود عليهم، والذهاب كل الصـــباح إلى البحرية والخروج يوم الجمعة لمراقبة العبيد الذين يعملون خارج المدينة"[4].

---

[1]. سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص ، ص. 26 ، 29.

[2]. جيمس لندر كاثكارث: أسر من قبل الأمريكيين وعمره 17 سنة ونقل إلى نيويورك على متن السفينة"جود هوب" ثم تمكن من الفرار، وعمل على متن سفينة تجارية "ماريا بوسطن" حينها استولى الجزائريون على هذه السفينة وأصبح أسير هناك في شـــهر جويلية 1785م. وبالرغم من الروح الذي يمتلكها اســـتطاع أن ينهض من العبودية وأصـــبح موظفاً مســـيحياً ومديراً لمكتب الداي في الجزائر، حيث كان يعمل واسطاً بين الداي والسفراء الأجانب. وفي سنة 1796م أطلق سراحه وعاد إلى الولايات المتحدة حيث أصـــبح بعد ذلك قنصـــل لحكومة على الجزائر وتونس وطرابلس لمدة 9 ســـنوات ثم أصـــبح مراقب الإداري في واشـــنطن(1823 _ 1843م). وفته المنية في 6 أكتوبر 1843م.(أنظر: جيمس لندر كاثكارث، المصـــدر السابق، ص _ ص. 9 _ 10).

[3]. المصدر نفسه، ص. 112.

[4]. جيمس لندر كاثكارث، المصدر السابق، ص _ ص. 113 _ 114.

ب_علاقة القناصل بالدايات: كانت علاقتهم مباشرة مع الموظفين الكبار، إذ بنيت هذه العلاقات على المساواة، وعلى حسب العلاقات الشخصية أو المصالح العامة التي تجمع بين الطرفين. غير أن هذه العلاقات تختلف من قنصل لآخر. لذا لجأ الممثلون الدبلوماسيون إلى أسلوب الهدايا لقضاء مصالحهم، ولإظهار النوايا الحسنة في العلاقات الثنائية[1].

خلال القرن 17م كان يفرض على القناصل عند وصولهم إلى مدينة الجزائر أن يقدموا هدايا تصل قيمتها إلى 5آلاف جينيه، ثم ارتفع المبلغ إلى 6.400 جينيه في عام 1742م. وإلى 13200جينيه في عام 1763م، و 16600جينيه في 1774م...فبدأ يرتفع ليصل إلى113000جينيه في سنة 1816م. وكانت هذه الهدايا يتقاسمها كل من الداي والأعضاء البقية[2].

وفي نفس الوقت فهم يشاركون الإيالة أفراحها تقرباً منها لدلالة على الصداقة القوية. والدليل على ذلك مبالغة القنصل الإنجليزي بتقديم هدية قيمتها 500بياستر بمناسبة استرجاع وهران. ويرى القنصل لومبير (*Lempir*) أنه من الضروري تقديم الهدايا، وإن كان ذلك سراً خارج المناسبات للاحتفاظ بالعلاقات الودية مع الشخصيات النافذة في الدولة، خاصة الشخصيات التي ساعدته في حل مشكلة القبطان بلوري(*Beloury*) وهم كل من قبطان الميناء والترجمان وأربعة من الرياس الكبار، فقد حققوا في صحة جواز سفره ويقول بأنه سيحتاجهم في مسائل أخرى[3].

ويصف القنصل الأمريكي وليم شالر[4] علاقاته ومعاملاته في كنف التسامح الإسلامي:"وإذا شاء القدر ودعتني لشغل منصب غير المنصب الذي أشغله غالباً في الجزائر، فسأحزن مدى الحياة لفقد ما أجده من لطف الكرم وسحر العشرة الطبيعية".

أما علاقة القناصل بالعناصر النافذة: فهي علاقة حسنة، ليست مع الدايات فحسب بل تعدت إلى العناصر النافذة، حيث كان القناصل يستعملون كوسطاء من أجل افتداء الأسرى المسلمين المتواجدين في الدول الأوروبية، الأمر الذي دفع بالقنصل (*Lavalée*) بعدم التأخر

---

[1]. بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 134.

[2]- أوجان بلانتيت، **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا(1579-1700م)**، تر: مجموعة من المترجمين، ج: 1، ط: 1، دار الوعي، الجزائر، 2014م، ص. 113.

[3]. بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 135.

[4]. المصدر السابق، ص. 106

في مراسلة زميله بنابولي من أجل تحرير الأسرى الجزائريين. كما نجد وكيل الحرج الذي طلب من القنصل السابق الذكر أن يحضر له من مرسيليا 12 شتلة أجاص في براميل مملوءة بالتربة ليتم غرسها في حديقة إقامته الريفية[1].

تعددت الخدمات التي يقدمها القناصل للدايات والعناصر النافذة، وصلت لدرجة طلب المساعدة المالية مقابل قضاء المصالح. فلم يتوان الداي حينما طلب مساعدة دوفال (*Douvail*) بأن يراسل السفير الفرنسي بالقسطنطينية على أن يعطي مبلغ مالي قدره 10000قرش اسباني للقابودان حسين الذي أرسل على رأس السفارة إلى القسطنطينية، على أن يرد المبلغ لاحقاً لحساب المؤسسات الإفريقية (الوكالة) بالجزائر على شكل سفتجة[2]، ويتم تسجيلها في موثقية القنصلية[3].

ويذكر شالر أن وزير البحرية سأل القنصل عما إذا كان يستطيع أن يمنح تأشيرات مؤقتة للملاحين الجزائريين، بالنيابة عن قنصليات النمسا والبرتغال. فأجاب القنصل بأن ذلك الأمر ليس باستطاعته، حيث أن هذا لا يتفق مع واجباته. وبعد ذلك قدم الوزير نفس الطلب إلى القنصلية البريطانية، وباعتبار هذه الأخيرة كانت ترعى مصالح هذه القنصليات، وافق القنصل على هذا الطلب وأمر القنصل القائم بأعمال القنصلية البريطانية بأن ينفذ الأمر، باعتباره مبدأ من مبادئ المجاملة الدولية[4].

المبحث الثاني: الجوسسة.

أضحت الجزائر خلال الفترة العثمانية قوة هامة في حوض البحر الأبيض المتوسط، مما أكسبتها مكانة لدى الدول الأخرى التي تترأسها الدولة العثمانية. ومما زاد التأثير فيها هو ذلك الاستقلال التي كانت تتمتع به خاصة عند ربطها لعلاقات سياسية مع الدول الأوروبية المصاحبة لها على أساس المصلحة. وهذا ما جعل بالكثير من الدول الأوروبية يرغبون في القضاء عليها وتحطيم قوتها البحرية. مما أدي إلى إضعافها وخاصة في نهاية الحكم العثماني. إذ تم هذا الأمر بإرسال الدول الأوروبية جواسيس لاستقراء المنطقة ومعرفة

---

[1]. بليل رحمونة، المرجع السابق، ص. 136.

[2]ــ السفتجة: بضم السين وفتحها، كلمة فارسية معربة ، وهي كتاب من صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قرضاً ليأمن به من خطر الطريق. والسفتجة في عصرنا تقابل الحوالة المصرفية.(أنظر: محمد أحمد وهمان، المرجع السابق، ص، 91).

[3]. بليل رحمونة، المرجع السابق، ص، 137.

[4]. وليم شالر، المصدر السابق، ص. 242.

خباياها. أو عن طريق الجواسيس المشاركين في الجيش الجزائري، على أساس أنهم أعلاج مسلمين اعتنقوا الديانة المحمدية ظاهرياً فقط _كأن يسمى بالجندي المستتر_. في حين نجد الأسرى الذين حفظوا المنطقة ولعبوا الدور الكبير من خلال مراسلاتهم وكتاباتهم. كما نجد رجال الدين والرهبان الذين أتوا بمهمة افتداء الأسرى لكنهم أخذوا الكثير من المعلومات بحسب ما تعاملوا به مع كبار الموظفين فيما يخص أمر افتداء الأسرى.

1-دور المسيحيين في عملية الجوسسة:

في عام 1587م وجهت مالطة كلا من لا نفردوكسي (*Lanfrducci*) وبوسيو(*Bossio*) إلى سواحل الجزائر لِيَستَعلِمَا لها عن قوتها، ويحددا المنطقة التي تصلح للهجوم والنزول إلى البر. واقترح الفارس دارفيوا(*D'Arvieusc*) على البرتغال إعداد حملة عسكرية ضخمة ضد الجزائر عن طريق مدينة بجاية[1]. وفي عهد لويس الرابع عشر[2](*Louis xiv*) أرسلت فرنسا جواسيس عام 1658م، وأمرت دي كليرفوا (*Cleville*) بالتعرف على سواحل الجزائر لاختيار المكان المناسب[3]. إذ اقترح كليرفو (*Cleville*) على لويس الرابع عشر عام1661م، تنظيم حملة عسكرية تنزل في ستورة _قرب عنابة_ بعد أن استطلع عن موانئ ستورة وعنابة والقالة وبجاية[4].

وفي سنة 1663م قامت عمارة فرنسية بعمليات مكنتها من القضاء على حوالي 20 قطعة بحرية جزائرية، غير أنها عجزت عن الإنزال في القل. ففي الثاني من أوت قام دو بيرفو(*De prieve*) بعملية تزود بالماء والمؤونة في سطورة، دون خوف من رد فعل الأهالي. سار بعد ذلك إلى دلس والجزائر أين أمكن له الحصول على الغنائم. حاول أن يضرم النار في أسطول فلم ينجح، بل تكبدت بعض الخسائر المعتبرة، وعاد إلى إيبزا_ البليار_[5].

---

[1]. يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص. 205.

[2]ـــ لويس الرابع عشر:(1638 _ 1715م) ملك فرنسا (1643 _ 1715م) ابن لويس الثالث عشر، في عهده بلغت الملكية المطلقة أوجها في فرنسا، وعرف الفرنسيين عصراً من أزهي عصورهم، وسع رقعة الدولة في اتجاه الشرق على حساب آل هابسمبورغ. ادعى أن النذرلند الإسباني في ماري تيريز فأدى ادعاؤه هذا إلى نشوب حرب الوراثة، شجع الفنون والصناعة، وشيدة قصر فرساي يعرف بملك الشمس.(أنظر: منير البعلجي، المرجع السابق، ص _ ص. 394 _ 395).

[3]ـــ صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص. 128.

[4]. يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**،المرجع السابق، ص. 205.

[5]. صالح عباد، المرجع السابق، ص. 129.

أ-مساهمة كتابات الأسرى في عملية الجوسسة: لقد لعبت فئة الأسرى دوراً كبيراً في عملية الجوسسة، حيث سمح لوجود أعداد كبيرة منهم في مراكز القوة بالجزائر، وذلك في إطار الحرب السرية المعلنة ضد الجزائر منذ زمن بعيد المعتمدة على الدسائس. فلا يوجد فرق بين جندي مسيحي وجاسوس ماعدا أن الأول عدو ظاهر والثاني عدو متستر[1].

وأفضل مثال نستشف به عن الأسرى نجد تيدنا ومذكراته التي أصبحت فيما بعد الطريق الذي تسير عليه الدول الأوروبية. فقد قدمت هذه المذكرات معلومات عن المجتمع الجزائري في الداخل بعيداً عن الساحل. على خلاف ما هي عادة تجار الوكالة الأفريقية والرحالة الأوروبيين الذين دونوا معلومات عن المدن الساحلية فقط دون أن يمدونا بمعلومات عن الداخل[2].

كما نجد كتابات الأسير الإسباني الدكتور صوصا (*Sosa*) بعنوان "طبوغرافيا تاريخ الجزائر العام". فحسب الإحصاء الذي انتهى إليها كان عددهم 62 شخصية علمية، أثناء إقامة صوصا بالأسر توسعت مداركه المعرفية بفضل الاحتكاك المتنوع، فيروى أنه لما افتدية عام1581م كان بحوزته مجموعة من المعلومات الهامة والسرية الذي جعلها تحت تصرف أوروبا، لتطّلع على حالة السواحل بالمناطق البربرية[3]. كما ألّف الدكتور صوصا مذكرات أرسل بها عام 1580م إلى البابا قريقوريو الثالث عشر (*Gregorir XIII*)[4] وإلى ملك أسبانيا فيليب الثاني (*Felipé II*) وإلى بعض الأمراء المسيحيين الآخرين. وعلى أعقاب إطلاق صراحه، مر بمدريد وهناك سلم للسلطات الملكية العديد من الوثائق حول وضعية الجزائر. كما أسند لهذا الراهب المتخصص في الإنسانيات واللاهوت عدة مهام دينية وتربوية ببلاط ملك إسبانيا، إلى أن وفته المنية بمدريد في شهر مارس عام 1616م. والوصف الدقيق الذي

---

[1]ـ دباب بومدين، "المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج: 9، ع : 1، جوان 2018م، ص. 45.

[2]. احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص. 132.

[3]. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص. 159.

[4]ـ غريغوريوس الثالث عشر: (1502_ 1585م) ومنه (1572_ 1585م) وضع برنامج طموحاً لإصلاح الكنيسة، أسس الجامعة الغريغورية وعدداً من الكليات مسنداً جهداً كبيراً لإعادة بعض البلدان البروتستانتية إلى الحظيرة الكاثوليكية، أصلح التقويم اليوليوسي وأقر بدلاً منه تقويماً جديداً عرف نسبة إليه بتقويم الغريغوارية.(أنظر: منير البعلجي، المرجع السابق، ص. 299).

أظهره على مدينة الجزائر الهدف منه إعطاء تفاصيل وتعدادات ونوعيات، لتزويد المسيحيين في أوروبا بكل تفاصلها لتسهل لهم مهمة الغزو[1].

ب-مساهمة المسيحيين في عملية الجوسسة: كما أن مهمة الرهبان والقساوسة التي تقوم على الفداء، ونتيجة تعاملهم مع مختلف فئات الحكام والمحكومين بالجزائر خلال الفترة العثمانية، سمح لهم بتقصي الأوضاع والتعرف على نقاط الضعف والقوة داخل الجزائر. وأتيحت لهم الفرصة لدراسة عادات وتقاليد الجزائريين وفقاً لتقارير أرسلت إلى بلدانهم الأصلية، تشير إلى الحقد الصليبي المسيحي ضد مسلمي الضفة الجنوبية للبحر المتوسط. وبذلك نصبوا أنفسهم منظرين للحملات الأوروبية الحربية ضد الجزائر[2]، ويتضح هذا التأثير من خلال النماذج الآتية الذكر.

في سنة 1689م كتب الأب جيانولا (*Jainola*) تقريراً مفصلاً أبدى فيه رضاه عن الاستقلال الذي حضي به في الجزائر، ووضع طريق للقضاء على الإيالة بهذه العبارات:"...هذا البلد الذي يمثل الجحيم بالنسبة للمجتمع فهو في منظوري يستحق التعزية والمواساة...". وبالتالي يطلب بضرورة غزو الجزائر. إلاّ أنه سبقه في ذلك وصف غراماي (*gramie*) الجزائر من الداخل والخارج سنة 1619م. وصور حياة ومعاناة الأسرى، ودرس الوسائل الناجحة لتحطيم الجزائر وجميع إيالات المغرب في إطار عمل سماه (*L'Africa illustrata*). حتى أن الجون بوشي أبدى موافقته لعمل غراماى بهذه العبارات:"...أنه لا يتعارض مع الإيمان ولا مع العادات الحسنة...ولهذا العمل الفضل في تبيين الوسائل الناجحة لاسترجاع المسيحيين من إفريقيا لذا فهو يستحق الطبع...". ومن هنا يظهر أن القساوسة كانوا يمثلون عيون أوروبا في الجزائر. لذلك عملت الدول الأوروبية على الاحتفاظ بتقاريرهم. إلى أن تأتي الفرصة الجِدّية لاحتلال الجزائر[3].

وفي عام 1757م اقترح المهندس الإسباني ريكو(*Ricand*) على إسبانيا أن ترسل حملة عسكرية ضد الجزائر تنزل بوادي الحراش، ثم عدل مشروعه واقترح أن تنزل في رأس قاسم، وسيدي فرج. كذلك اقترح الجاسوس الإيطالي ليفير باسكولي(*Livio Pascoli*) غزو الجزائر من جهتين، عنابة شرقاً وسبتة غرباً، للإطباق عليها واحتلالها كلها وجعلها مستعمرة

[1]. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص. 260.

[2]. دباب بومدين، المرجع السابق، ص. 45.

[3]. دباب بومدين، المرجع السابق، ص _ ص. 45 _ 46.

أوروبية[1]. وفي عام 1803م حضر إلى الجزائر الجاسوس الإسباني ومنقو باديا (*Badia Mango*) الذي تستر تحت اسم علي بك العباسي. واستعلم على القوات البحرية الجزائرية. وقدم بذلك تقريراً إلى الوزير الفرنسي ريشيلو ألح فيه على ضرورة احتلال الجزائر. وبعده قام الضابط بوتان بتقديم سلاح الهندسة العسكرية الفرنسية عام 1808م. ثم جاء الجاسوس بانانتي الإيطالي عام 1814م حاملا معه نفس مهمة الضابط بوتان. والأخير من أسرة بورجوازية أسره الرايس حميدو علي من قبل، وأقام في الجزائر مدة إذ اقترح معاً احتلال الجزائر بصفة دائمة[2].

ويذكر أحمد باي[3] في مذكراته عن حادثة سيدي فرج :"في سنة 1830م ذهب إلى مدينة الجزائر والتقى بالباشا قائلاً له:_ليس لديكم أكثر من الوقت الكافي للخروج إلى الفرنسيين الذين سينزلون بسيدي فرج، إنني أعرف مكان النزول من الرسائل التي تصلني من بلادهم، ومن كتاب طبع في فرنسا وأرسله لي جواسيس في مالطة بجبل طارق. ثم أضاف بأن الرسائل ترد إليه باستمرار من فرنسا، وأنه على علم ما يجري هناك_. غادر أحمد باي مدينة الجزائر بسرعة واتجه إلى المكان الذي يقع فيه الجيش، وعقدوا مجلساً لتحديد نقطة الدفاع عن البلاد. إذ شارك معه في هذا المجلس الأغا إبراهيم صهر الداي ومصطفي باي التيطري وخوجة الخيل وخليفته باي الغرب.

ومن خلال الدور الذي لعبه الكثير من المسيحيين وبصفة خاصة الأسرى في عملية الجوسسة ونقل الأخبار إلى دولهم، نتج عنه الكثير من المعارك والحروب وخاصة على مدينة الجزائر خلال فترة الحكم العثماني.فمن أهم المعارك نذكر منها:

-حملة شارلكان[4] ضد مدينة الجزائر سنة 1541م: إن الظروف وأسباب قيام هذه المعركة تمثلت في أنهم استغلوا غياب خير الدين بربروس عن الساحة، وتواجده بالمشرق

---

[1]. يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص. 205.

[2]. المرجع نفسه، ص. 206.

[3]. أحمد باي، **مذكرات أحمد باي**، تر وتع: مارسال أمريت، د: ن، باريس، 1971م، ص _ ص. 11 _ 12.

[4]- شارلكان: شارل الخامس (Charles v) (1500 _ 1558م) ملك إسبانيا (1516 _ 1556م) رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة، يعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ إسبانيا كله، هزم القوات الفرنسية، وأمر الملك فرانسوا الأول في معركة بافيا (Pavia) عام 1525م، أعلن الحرب على البروتستانتية ثم عقد مها صلح أوغبورغ عام 1555م. وفي عهده اتسعت رقعة الإمبراطورية في أوروبا وفتحت إسبانيا أجزاء واسعة من المكسيك وبيرو. تخلى عن العرش عام 1556م=

وتفرغه لقيامة الأسطول العثماني. وكذلك استغلوا غياب الجيش التركي في الناحية إلاَّ وجود القليل منهم. كما رأت من جهة الدولة العثمانية التي كانت منشـــغلة بالحروب مع أوروبا _النمسا والمجر_. والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك هي رغبة شارلكان ورجال إسبانيا بالانتقام من الشرق الإسباني الذي نال منه انكسارهم أمام الجزائر سنة 1519م هذا من جهة ومن جهة ثانية ذلك الفوز السياسي العظيم الذي نالوه بتلمسان والغرب الجزائري[1].

وفي ســنة 1541م جمع أكبر عدد من الســلاح خلال القرن 16م في مايروكا، وفي أكتوبر من نفس الســنة أعلم الجنود الذين يراقبون مرتفعات بوزريعة حســن أغا بأن الســفن الحربية تتواجد في البحر بأعداد كبيرة جداً، بحيث لا نستطيع عدها، ويوجد من بينها سفن تشبه الجبال في علوها[2]. ولما كانت الظروف مواتية لسير الحملة شرع شارلكان في تجهيز جيش مؤلفاً من خيرة المقاتلين البواســل وقد شــارك كل نبلاء إســبانيا وإيطاليا بإرســال المتطوعين والبابا يوحنا الثالث أرســل مع جيشــه حفيده كولونا، ورهينة مالطة القوية 144 فارساً و400 رجلاً من خيرة الرجال عندها من المقاتلين الأنكاد. فكان جيش شارلكان يبلغ حوالي 24000 رجل وألفي فارس، أما الأسطول فكان يشمل 450 سفينة نقل و65 سفينة حربية كبرى. ووصــل عدد البحارة في مجموعهما إلى 12000 رجل تحت قيادة أندريا دوريا نفسه. أما الجيش فكان تحت قيادة الإمبراطور شارلكان الفعلية الذي أراد أن يكون له نفسه شــرف تحطيم مدينة الجزائر، وفتح أرضــها باســم النصــرانية[3]. تحرك الأســطول في 18 أكتوبر 1541م وكان يوم الخميس يوم رسوهم في الميناء بالقرب مدينة الجزائر، وعند رسوهم سقطت راياتهم داخل البحر فتفاءل المسلمون خيراً من ذلك، وعملوا بأنهم منصورون بإذن الله

=واعتزل في أحد الأديرة الإســبانية بعد هزيمته في حملته على الجزائر إلى أن مات كمداً ســنة 1658م.(أنظر: منير البعلجي، المرجع السابق، ص. 255).

[1]ـ أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792م)**، المرجع السابق، ص-ص. 251-252.

[2]. كورين شوفاليه، المصدر السابق، ص-ص. 90 -91.

[3]. أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792م)**، المرجع السابق، ص. 261.

تعالى[1]. وضعوا خيم مؤقتة ثم عاد رأساً نحو ضفة وادي الحراش، ومنه أنزل جنوده إلى البر يوم الأحد 23 أكتوبر عند مطلع الفجر على الساعة التاسعة[2].

وفي 28 أكتوبر 1541م ظهرت عاصفة مخيفة من الشمال مصحوبة برياح وأمطار متنوعة بزلزال عنيف وظلام قابض للصدر في البر والبحر، وفي ليلة واحدة تحطمت 86 سفينة و15 غليوطة بكامل طواقمها وعتادها العسكري، وخاصة الجنود الذين فضلوا الانتقال من سواحل الشاطئ إلى أماكن أفضل فقد قطعوا إرباً من قبل العرب والمور[3]. وفي الصباح الموالي شاهد شارلكان البحر مغطى بأجزاء من السفن وجثث جنوده وخيوله وكائنات أخرى تطفوا على الأمواج، فقد أصابه غم وكدر مما جعله يترك خيامه ومدفعيته للعدو. وقرر المغادرة لكن حسن أغا _داي الجزائر_ سمح له فقط بوقت كافي للنزول إلى الشاطئ، عندها هاجم الأسبان وفاز هو الآخر. إلا أن الأسبان فجيئوا بعاصفة جديدة ولم يبقي منهم إلا سفينة واحدة للعودة إلى بلادهم. أما شارلكان فبقي إلى غاية 16 نوفمبر[4].

_حملة الأب ماثيو على مدينة الجزائر سنة 1603م: وجاءت هذه الحملة نتيجة الجوسسة التي قام بها ماثيو (*Mathio*) وهو أسير في مدينة الجزائر. فقد كان في هذه المنطقة راهب فرنسيسكاني يدعي ماثيو والذي كان أسيراً لمدة طويلة عند أمير كوكو. وتعلم لغة أهلها، وحظي بمكانة مرموقة عند أميره ، وبعد عودته إلى إسبانيا استمرت علاقته الحسنة مع أمير كوكو، الذي وعده بإعطاء للجنود الأسبان بعض الحاميات، ومنحه قلعة عند مدخل المنطقة. كان يعتقد أنه إذا ربط علاقته بعلاقة الملك سيهزم قوات مدينة الجزائر[5].

استعد لهذه الحملة بالاتفاق على النزول عند مرسى الفحم مع اتخاذ الحصن الصغير الواقع في أزفون كمكان لإنزال السلاح، مقابل منحه 50 ألف ريال، وفي المقابل تقديم ابنه رهينة لضمان تعاونه. وقد علم الباشا والديوان بهذا المخطط، فأرسلوا مجموعة من الإنكشارية لهذه المنطقة لحصارها[6]. وصلت هذه الحملة التي كانت مكونة من أربع غاليرات بقيادة نائب

---

[1]ـ الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، ج: 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص. 223.

[2]. أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492 _ 1792م)**، المرجع السابق، ص. 261.

[3]. جيمس ويلسون ستيفينس، المصدر السابق، ص. 33.

[4]. المصدر نفسه، ص. 34 _ 35.

[5]. محمة عائشة، المرجع السابق، ص. 98.

[6]. محمة عائشة، المرجع السابق، ص. 99.

ملك مايروكة في اليوم المتفق عليه ورست أمام القلعة. لكن أمير كوكو تحايل ولم يرسل ابنه رهينة إذ شك فيه الأب ماثيو وقرر الانسحاب بشكل سرى. لكن عبد الله _أمير كوكو_ هو وجنوده منعوه وانقضوا عليه وقتلوه هو وجنوده. قرر نائب الأب ماثيو نجدته لكنه لم يستطع ذلك لكثرة جنود المسلمين، فقرر الإقلاع هو الآخر في الحال. فعلق المسلمون رؤوس جنود الأسبان وقائدهم ماثيو بالرماح وأتوا بها إلى مدينة الجزائر. إذ طافوا بها أرجاء المدينة، وعلقت على أسوارها. وبعدها توجه أمير كوكو إلى الباشا ليعطيه المكافئة التي وعده بها[1].

المبحث الثالث: التمثيل الدبلوماسي.

لقد كان للمسيحيين وبالأحرى الأسرى دور فعال في ربط العلاقات بين الإيالة الجزائرية والدول الأوروبية، خاصة تلك الدول التي تربط معها علاقات طيبة، أدت إلى تعيين ممثليها من الدبلوماسيين وقناصلها في الجزائر من أجل رعاية مصالحها ومصالح تجارتها. كانت مسؤوليتها بالدرجة الأولى حماية الأسرى الذين يشتكون من خلال رسائلهم وعرائضهم لدولهم من حين لآخر، في حين تعتبر المعاهدات والاتفاقيات المصدر الأساسي لهذه العلاقات الدبلوماسية الذي يمثلها السفير الدبلوماسي والقنصل العام. وتتم عن طريق إبرام المعاهدات وذلك لأول مرة مع فرنسا خلال القرن 16م. ونحن سنحاول التطرق لهذا من أجل التعرف على أحد أدوار الممثلين الدبلوماسيين التي اعتمدت عليهم فرنسا في حفظ مهمتها داخل الإيالة.

وقبل التطرق لهذه البعثات وجب علينا التطرق أولاً إلى أعضاء التمثيل الدبلوماسي.

1-أعضاء التمثيل الدبلوماسي:

أ-تعيين القنصل: لقد حصلت فرنسا منذ سنة 1564م على حق تعيين قنصل لها داخل الإيالة، لكنها لم تتمكن من استخدام هذا الحق حتى سنة 1580م بسبب مقاومة حكام الجزائر. وفي حقيقة الأمر أن معظم القناصل الأوائل الذين توافدوا إلى الجزائر كانوا تجاراً تعينهم غرفة مرسيليا[2]. وأول ممثل أوروبي هو القنصل الفرنسي أم بروتول (*A.M Bartholle*) من مرسيليا الذي وقعت تسميته سنة 1564م، ولكن تدخل فرانسوا دونوا

[1]. المرجع نفسه، ص _ ص. 99 _ 100.

[2]ـــ محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، ط: 1، د: ن، دمشق، 1969م، ص. 127.

(*François de nouillais*) بعد هركس داكس لدى السلطات لتعيين موريس سورون (*Maurice Souron*)[1]. وكان أول ممثل عام 1578م بمقتضى فرمان[2] أصدره الباب العالي يقضي بتعيين قنصل فرنسا في الجزائر. نزل القنصل الفرنسي سورون واستقبله الداي جعفر باشا(1580-1582م)[3] بالعاصمة[4]. ثم تأتي بريطانيا التي أولت اهتمامها بالبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 16 و17م. فقد كانت هي ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية لها في الجزائر. ولكن هذا التمثيل القنصلي البريطاني كان مثل التمثيل الفرنسي متقطعاً. بسبب مما شاهدته الجزائر من حروب من قبل بريطانيا، إلاّ أن علاقتهم كانت أفضل وازدادت تحسناً خلال القرن 18م[5].

ب-نائب القنصل: وهو موظف في الوكالة الإفريقية. يقتصر دوره في مجال التجارة، فهو مكلف بمراقبة ومعالجة الحبوب الموجودة في الميناء، إذ يتولي إدارة الوكالة الإفريقية في حالة غياب أو وفات مدير الوكالة، وفي الكثير من الأحيان يصبح هو المدير[6].

ج-موثق القنصلية (*Le chancelier*): خلال الفترة الممتدة مابين (1579-1830م) كان هناك موثق القنصلية وهو شخصية مهمة، يمسك سجل الاجتماعات وتقارير النواب عند انتهاء مدة عملهم، والقرارات والأحكام التي يصدرها القنصل، كما كانت له مهمة السكرتير والمكلف بالأرشيف وكاتب المحكمة وموثق الأمة، ويقوم بمهمة محضر الجلسة لتسجيل عقود الحالة المدنية والمحاسبة. وابتداءً من سنة 1806م يعود الموثق إلى مهمته القديمة إلى جانب الترجمان. وخلال القرن 19م كان العديد من نواب القناصل يقومون بمهمة الموثق

---

[1]. وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 166.

[2]ـــ فرمان: كلمة فارسية تعني عقد من السلطات للولاة، ويتضمن الفرمان عادة الأوامر والتوجيهات.(أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 83).

[3]ـــ جعفر باشا: أصله من أسرى المجر، وبعد أن ظهرت جدارته وكفاءته ومقدرته الحربية للباب العالي، ولته الحكومة العثمانية بإرادتها، فباشر هناك بالمشرق عدة وظائف ومناصب عسكرية، ثم عينته السلطة العليا بإسطنبول حاكماً بالجزائر في رجب سنة 988هـ/ أوت 1580م.(أنظر: عبد الرحمن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 3، ص _ ص. 101 _ 102).

[4]ـــ صالح فركوس، **مختصر حضارات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 2005م، ص. 6.

[5]. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 4، المرجع السابق، ص _ ص. 102 _ 103.

[6]ـــ درعي فاطمة، "أعضاء البعثات الدبلوماسية الأوروبية في الجزائر خلال العهد العثماني وحصانتهم"، **مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية**، مج: 9، ع: 1، جوان 2018م، ص _ ص. 444 _ 445.

أمثال (*Henri Guys*) سنة 1818م وأيضاً(*Thierry Florent*) سنة 1830م. كما نجد قيوم بوربال(*Guillaume Borbal*) الذي شغل هذا المنصب في الفترة الممتدة (1579-1581م) و(*Louis Massonnet*) تولى مهامه سنة 1583م[1].

د-الترجمان (*Le Drogman*): هو الوسيط بين الأوروبيين وسكان البلاد، فجهل الأجانب باللغة العربية والتركية، كان يعيق الاحتكاك المباشر بينهما. وهو قناة الاتصال في كل مفاوضات يقوم بها الأوروبيون مع السلطات العثمانية، وفي الزيارات الرسمية المتبادلة والمعاملات المختلفة. وقد تجلى دور الترجمان في الاستخبار لحساب السلطة العثمانية أو بعض الممثلين الأوروبيين، فقد كانوا عيون مستخدميهم، ولم يكن الأوروبيون راضين عن الترجمان بسبب أخطائه في الترجمة وبيعه للأسرار. ففي البداية كانت السلطة العثمانية تستخدم اللغة الإيطالية ثم سعت إلى توسيعها ووصلت في اللغة الفرنسية والإنجليزية[2].

خضع الترجمان لعقوبات الباشا حتى أنه كان لا يجرؤ على تسليم رسالة تبدو غير مرغوب فيها لصاحبها إلاّ بعد تجريدها من المعنى الحقيقي لها، والتحقق من أثرها ولو بتغيير ما جاء فيها وهو ما يؤدي إلى عقابه الذي يصل إلى القتل أو السجن. وقد كان هذا الترجمان يتمتع بازدواجية وعدم ارتباطه بالأمة التي يخدمها. وقد تعدى عمل الترجمان إلى جانب القنصل في اتصالاته مع السلطات الحاكمة وفي الوقت نفسه إلى جانب التجار من أجل عملياتهم التجارية مع السكان، وفي هذه الحالة كان من الضروري حصولهم على تصريح بذلك من القنصل[3].

2-أهم البعثات والمعاهدات السياسية:

أ-مهمة فرانسوا صافاري دي بريف_(*Safarie de prief*): إن من الأسباب التي جعلت فرنسا ترسل مبعوثها إلى الجزائر لتسوية العلاقات بينهم، على الرغم من أنها حصلت على امتيازها لأول مرة سنة1564م، هو تصدع العلاقات بين الجزائر وفرنسا بعد مضي أيام قلائل على تاريخ تجديد وتأكيد فرنسا لامتيازاتها لدى الدولة العثمانية بتاريخ 30 مايو

[1]. المرجع نفسه، ص _ ص. 446 _ 447.

[2]. درعي فاطمة، المرجع السابق، ص. 449.

[3]. المرجع نفسه، ص _ ص. 449 _ 451.

1604م، بفضل جهود سفيرها سفاري دي بريف (*Safarie de prief*)، والسبب الآخر يعود إلى الحصن من طرف الحكومة الجزائرية في جوان 1604م[1].

أما السبب المباشر فهو عدم احترام فرنسا للاتفاقيات التي نصت على أن يقتصر نشاطها على صيد المرجان، لكنه تجاوز إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة وتصديرها إلى مرسيليا جانية بذلك أرباحاً طائلة متجاهلة الظروف القائمة في تلك الفترة، لأن البلاد كانت تمر بمجاعة خطيرة سددت حياة السكان. مما أسرع ملك فرنسا لإصلاح الوضع الذي اعتبره إهانة لنفسه، إذ احتج لدى الباب العالي بإعادة بناء الحصن وتعويض الخسائر التي ألحقت بالتجار الفرنسيين. وبعد مرور سنة قام الباب العالي ببعث الأغا محمد خوجة من أجل تسوية الخلافات سنة 1605م لكن دون جدوى[2].

لم تكن حكومة الجزائر تكتفي بالمعاهدات المعقودة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، حيث لم تأخذها بعين الاعتبار لقيام التحالف التقليدي بين الأستانة وفرنسا، ولذلك كانت تتطلب توقيع معاهدات خاصة معها. وحتى في عهد البيلربايات عارض حسن فنزيانو استقبال القنصل الفرنسي في مدينة الجزائر سنة 1579م إلى أن أرسلت له الأستانة خطاب تهديد[3]. جاءت مهمة المبعوث الفرنسي وبرت(*Wibir*) الذي انتهى من تونس وتوجه نحو الجزائر سنة 1606م، لكنها فشلت بالنسبة لافتداء الأسرى وفيما يخص إعادة بناء الحصن رغم أسلوب الرشوة الذي لجأ إليه والذي رشي به بعض الرجال البارزين في مجلس الديوان عسى أن يحظى بدعمهم[4].

ب-معاهدة 21 مارس 1619م: تعتبر أول معاهدة سياسية في تاريخ العلاقات الجزائرية، فلم تكن العلاقات قبل هذا التاريخ ترتكز على أية اتفاقية أو معاهدة ثنائية تقنن الشؤون المشتركة والخاصة بالبلدين[5]. نص هذا الاتفاق على احترام الطرفين للمعاهدات المبرمة بين الدولة العثمانية وفرنسا، كما التزاما بتوقيف كل الأعمال العدائية التي تنشب

---

[1] ـــ عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694م)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1984 _ 1985م، (غير منشورة)، ص. 37.

[2]. المرجع نفسه، ص. 37.

[3]. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص. 35.

[4]. عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694م)**، المرجع السابق، ص. 39.

[5]. أنظر الملحق رقم 10.

بينهم. وحصـــلت فرنســـا على حق عدم تفتيش مراكبها البحرية من طرف البحارة الجزائريين حتى لو كانت تنقل سلعاً لتجار رعايا دول معادية للجزائر. كما أنه لم يسمح لقراصنة أي بلد بإنزال الأسرى الفرنسيين في الموانئ الجزائرية، وبيعهم فيها، وإن حدث هذا الشيء فإن هؤلاء سيطلق سراحهم، فوراً وترد لهم مراكبهم وأمتعتهم[1].

وبعد فترة زاد الأمر توترا بعد حادثة المدفعين التي قام بها ســـيمون دانصـــا (*Simon Dansa*)، الذي أتى إلى مدينة الجزائر سنة 1606م من أجل تعليمهم كيفية استعمال السفن الدائرية. ولمكافأة جهوده أعاره الباشـــا مدفعين من البرونز ليســـلح بها ســـفينته، فقام بســـرقة المدفعين وهرب نحو مدينة مرسيليا. إذ أثار هذا العمل غضب الباشا واحتج لدى ملك فرنسا لكن الملك تجاهل ذلك[2]. وبعدها سعت فرنسا لإعادة العلاقات وإحلال السلم مع الجزائر، إذ أرسلت بعثة من مرسيليا سنة 1616م قامت بتحرير بعض الأسرى الجزائريين لتسهيل مهمة التفاوض، لكن هذه المفاوضـات باءت بالفشـل، لأن الجزائر طلبت إعادة المدفعين قبل البدء في أية مفاوضـات. حيث تدخل الباب العالي لتحسين العلاقات بين الطرفين. فأرسـل سـنان شاوش موجهاً فرمان سلطاني وهددت فرنسا بشن حرب في حالة ما لم تعقد اتفاقية بينهم، ثم أرسلوا مبعوثين كنان آغا ورزان باي، وبعد مفاوضات بينهم تم عقد معاهدة بتاريخ 21 مارس 1619م[3].

ج-مهمة كور فليس بيجناكير الأول إلى الجزائر ســـنة 1622م: منذ بداية العهد الثاني من القرن السابع اهتمت هولندا بإرسال مبعوثاً إلى الجزائر من أجل التوصل لاتفاقيات هدنة. فأرســـلت المبعوث (*Pynacher Conelis*) في جويلية 1622م، من مرســـيليا على سفينتين حربيتين ووصل إلى مدينة الجزائر، وفي 3 سبتمبر من نفس السنة نزل مع مرافقيه إلى منزل القنصل وظل هناك إلى غاية 18 أكتوبر. جاء هذا المبعوث في مهمة لتوصية أن

---

[1]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619 _ 1830م)**، المرجع السابق، ص. 56.

[2]_ عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619 _ 1694م)**، المرجع السابق، ص _ ص. 42 _ 43.

[3]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619 _ 1830م)**، المرجع السابق، ص. 56.

تعيش هولندا مع الجزائر في سلام، والمطالبة بتحرير كل الأسرى الهولنديين دون مقابل، وتبادل التحالف ضد إسبانيا، ومن أجل تسهيل المفاوضات وجه بيجناكير 4 آلاف فلورين[1].

أستقبل المبعوث من قبل الباشا حسين حميد أغا والديوان مطالبين من خلال هذه المفاوضات إعادة 12 أسير جزائري الذي قبض عليهم من طرف طاقم سفينة حربية هولندية، وتم نقلهم إلى جزيرة مالطة. وإلاّ سيكون عقد السلام بين الطرفين مستحيلاً من دون عودة هؤلاء الأسرى الجزائريين. فوعدهم بيجناكير في 21 أكتوبر 1622م بعودة الأسرى وعُقد السلام بينهم، ووافق المبعوث على دفع 1500فلوران. إذ احتوت هذه المعاهدة على 14 بنداً.

البعثة الثانية لبيجناكير إلى الجزائر 1625م. إن الهدف الرئيسي لبعثة بيجناكير إلى الجزائر هو التوضيح للجزائريين بأن السلام دون العمل بمبدأ _السفينة حمولة حرة_ وأن تفتيش البضائع على السفن يعد عملاً منافياً لشرف ولسمعة الجمهورية[2].

د-معاهدة 19 مارس 1628م: قام بها السفير سانصون نابولون (*Sanson Nappolon*) الذي خرج يوم 9 جوان 1626م، ووصل إلى مدينة الجزائر 20 من نفس الشهر والسنة، إذ أقر ما جاء به أمام الديوان وهي رغبة فرنسا في إحلال السلم بينهم، لكن الديوان رفض ذلك حتى عاد إلى السلطات العثمانية ليتأكدوا من صحة التوصية[3]. وتعتبر هذه المعاهدة تتميماً لمعاهدة 1619م. نصت على منح حق اللجوء إلى فرنسا وإعادة المسلمين الفارين من بلدان معادية. إذ أصبح لا يحق للفرنسيين حجز هؤلاء ولا استرقاقهم أو ردهم إلى أعدائهم. كما أنه يحق للسفن الحربية الجزائرية تفتيش المراكب الفرنسية مع الالتزامات بعدم التعرض لأذى الملاحين وغيرهم. كما نصت المعاهدة على حق الجزائريين في أسر واسترقاق الفرنسيين الذين يعملون في سفن الأعداء، وأمنيت المعاهدة على عدم إرغام أي فرنسي على التحول عن دينه بالقوة واعتناق الإسلام، ولا يجوز ختانهم[4].

---

[1] ـــ عبد القادر فكاير، "علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية"، **مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، ع: 1، جانفي _ ديسمبر 2007م، ص _ ص. 188 _ 189.

[2]. المرجع نفسه، ص _ ص. 188 _ 189.

[3]. محمة عائشة، المرجع السابق، ص. 77.

[4]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1616 _ 1830م)**، المرجع السابق، ص _ ص. 63 _ 64.

كذلك ضـــمت المعاهدة حقوق الرعايا الأجانب المقيمين في فرنســـا والمقبلين على المراكب الأجنبية المعادية فلا يجوز أسـرهم ولا اسـترقاقهم. شـريطة اسـتظهارهم لوثيقة تثبت أنهم من رعايا ملك فرنسا. كما التزمت الجزائر بعدم السماح ببيع البضائع والأسرى الفرنسيين في موانئها من أعدائهم. ولتأكيد نية الطرفين عن إقرار وتثبيت دعائم الســـلم الجديد المبرم بينهما، فقد تعهدوا على قطع الرؤوس كل من يخالف هذه البنود[1].

هـ-مهمة صـونصـون لوباخ(*Sansan Le page*): عين الملك صـانصـون لوباخ خلفاً لنابولي على رأس المراكز الفرنسـية بتاريخ 9 ديسـمبر 1633م. وقد كلفه بالتوجه إلى مدينة الجزائر، من أجل تحرير الأســرى الفرنســيين مصــطحباً معه الأب بير دان(*Pierre Dan*) التابع لنظام الثالوث المقدس، والعامل على افتداء الأســرى المســيحيين، إضــافة إلى دفع المبالغ المالية. وعندما وصلوا إلى مدينة الجزائر كان الكل في انتظار الباشا الجديد. وعندها التقي لوباخ مع هذا الأخير، إذ رد عليه الباشــا أنه ليس باسـتطاعته تنفيذ أي شــيء إلاّ بعد دراسـة القضـايا العالقة في البلد، وأنه سـينفذ هذا الأمر بعد ثلاثة أسـابيع. اسـتغل لوباخ هذا الوقت في السـعي للحصـول من الديوان على الإذن بالتعامل مع فرنسـا مباشـرة وبدون وجود واسطة[2].

كان الباشـــا يســـعى لجمع المال واعتقد أنه ســـيحصـــل على الثروة، لذلك أخذ في المناورات، أعاد المراكب والسـلع والأسـرى التي بيعت من دون دفع تعويضـات، ثم جددت الحملات الفرنسية على الجزائر جراء هذا الخبر. فتدخل الأب دان لشراء الأسرى بالتراضـي وطلب لوباخ هو الآخر من الديوان، من أجل استبدال 68 أسير جزائري موجود في مرسيليا مقابل 342 أســير فرنســي... وافق الديوان على ذلك، ومن جهة أحس لوباخ أنه نجح في مفاوضاته. إذ تدخل الباشا الجديد _يوسف باشا_ بأن القسم الأكبر من هؤلاء الأسرى قد بيع في مالطة منذ زمن طويل، وفرض أن يعطي الأسرى الفرنسيين بنفس عدد أسرى الجزائريين، وبسبب رغبت عائلات هؤلاء الأسرى للعودة إلى بلادهم، بدأ الضغط على الباشا للإسراع في تنفيذ العملية، وهو الأمر الذي جعل الباشـا يطالب بإرجاع كل الأسـرى الجزائريين، ولضـمان

[1]. المرجع نفسه، ص. 64.

[2]. محمة عائشة، المرجع السابق، ص _ ص. 79 _ 80.

ذلك قدم لوباخ نفسه رهينة فقبل الباشا.وفي الأخير رجع لوباخ إلى فرنسا دون أن يحقق شيئاً[1].

و-معاهدة 7 جويلية 1640م: أعقبت المحاولات العسكرية الفاشلة بعد إخفاق محاولات لوباخ الدبلوماسية فترة من الغموض. ولم يسمح له بأي طريقة إلى إعادة العلاقات، حينها كانت فرنسا متهمكة في حروبها ضد إسبانيا، ولم يكن في ميسورها الخوض في المفاوضات، والجزائر هي الأخرى لم تكن مهتمة بذلك. والجدير بالذكر أن هذه المحاولات كانت من قِبَل أحد أسر الحصن ولم تكن من طرف الحكومة الفرنسية بحد ذاتها، وهو السيد كوكيال صاحب المصالح التجارية الذي رأى في تعطيل العلاقات التجارية خسارة كبيرة تعمل على إعادة السلام. وبعد هذا أحرز موافقة الحكومة بهذا الشأن وبعد مدة من جهد استغرقت سنتين تولى الأسير الذي تحول إلى دبلوماسي مفاوض على إبرام معاهدتين الأولى سياسية والأخرى تخص المؤسسات الفرنسية[2].

إن الأسباب التي جعلت الجزائريين يوافقون على هذه المعاهدة فهي غير واضحة. فالسبب الأول: الأزمة التي كانت تواجه حكومة الإيالة والتي تقتضي بتجريد الباشا من جميع سلطاته. أما السبب الثاني: قد يكون الرياس الذين كانوا لهم تأثير كبير على الحكومة، ويحتاجون إلى طريقة للدخول إلى السوق الفرنسي وشراء التموينات البحرية. أما عن السبب الآخر: هو أن الجزائريين اعترفوا أن الفرنسيين الذين كانوا في حرب جديدة مع اسبانيا، هم حلفاءهم ضد عدوهم[3].

لقد وجد هذا التفسير الذي أعطي للحادثة أذاناً صاغية لدى المسؤولين، ودفعهم للقيام بالمبادرة انفتاح جديد للحفاظ على حالة السلم مع الفرنسيين، حين قرر الباشا إرسال لسيد كوكيال القائم بشؤون الباستيون إلى فرنسا وحمله رسالة لويس الرابع عشر، مؤكداً فيها أن الجزائر تعتبر نفسها لحد الآن في حالة سلم معه. فقد وُقِّعَت هذه المعاهدة في 7 يوليو (جويلية) 1640م، مؤكدة على أحد بنود معاهدة 1628م. ويكون على استعداد لإطلاق سراح كل الأسرى الفرنسيين الموجودين في البلاد الجزائرية مقابل الأسرى المسلمين

---

[1]. المرجع نفسه، ص. 80.

[2]ـــ عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619 _ 1694م)**، المرجع السابق، ص. 59.

[3]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص _ ص. 294 _ 295.

الموجودين في فرنسا، وقد حمل دي كوكيل اقتراحات محدودة بخصوص هذه المسألة الخيرة، ورد لويس الرابع عشر على هذا العرض بالإيجاب. واعتمد دي كوكيل على القيام بالمفاوضات قصد إبرام معاهدة سلم جديدة في 7 جويلية 1640م. اتفق الطرفان على إطلاق سراح الأسرى. وعلى عودة مستخدمي الباستيون إلى مراكزهم. كما ضبطت قضية تفتيش المراكز الفرنسية حين أصبح للبحار لا يحق تفتيشها في البحر[1].

وأخيراً تم الاتفاق على أنه في حالة حرب بين الطرفين فالحصن يبقي حراً ولا يساء إليه. كما أنه سيواصل دفع المبلغ السنوي[2]. وهذا ما جاء في بنود معاهدة 1628م تم الاتفاق عليه. إضافة إلى أن رياس هؤلاء السفن يدفعون تعويضات عن الخسائر التي ألحقوا بها المراكب والرعايا الفرنسيين. كما أكدت على حقوق القنصل وامتيازاته[3]. إن المفاوضات التي قام بها كوكيل 1640م تكشف عن خفايا القضايا المتعلقة، فقد أصبح حاكم الحصن يطالب منذ هذا التاريخ بدفع 24 آلاف دوبل توضع كاحتياطي في خزينة الدولة بالقصبة[4].

ي-معاهدة 17 مايو (ماي) 1666م: في هذه الفترة شهد البحر المتوسط حرباً بين إنجلترا والأراضي المنخفضة، وكان على ملك فرنسا أن يبقي بتعهداته ويلتزم بالوقوف إلى جانب حليفته هولندا ضد إنجلترا بمقتضى المعاهدة المبرمة بين الطرفين عام 1662م. وكانت هذه الحرب عن طريق إبرام معاهدات سلم جديدة معها في المرحلة الأولى، ثم سعت إلى تطوير هذه المعاهدات لتتحول إلى حلف موجه ضد إنجلترا والدول الأوروبية الأخرى المعادية لها[5].

أعلم دي بورديو (D.Bordiu) البلاط الملكي بأن شعبان أغا يسعي للصلح مع فرنسا، ووقع معاهدة جديدة لتحرير الأسرى الذين أخذوا بعد الحملة على جيجل، وبعد التحضيرات الكبيرة من طرف القنصل وصلوا إلى توقيع معاهدة سلم مع فرنسا بتاريخ 17 ماي 1666م[6].

---

[1]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، المرجع السابق، ص-ص. 67-68.

[2]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 293.

[3]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، المرجع السابق، ص-ص. 68-69.

[4]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص. 292.

[5]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، المرجع السابق، ص. 78.

[6]. محمة عائشة، المرجع السابق، ص. 82.

جاءت هذه المعاهدة بإضافات جديدة للمعاهدات السابقة، فيما يتعلق بمسألة تفتيش المراكب الفرنسية في البحر، وهو الموضوع الذي كان مصدراً للخلاف المستمر بين الطرفين، ولا يساء استعمال التسهيلات التي منحتها الجزائر بهذا الخصوص للفرنسيين، عندما كانوا ينقلون على متن سفنهم بضائع وأشخاص. دون الأخذ بعين الاعتبار إذا كان هؤلاء رعايا دول معادية للجزائر أم لا. ولقيام الجزائر كردت فعل على تفتيش السفن الفرنسية وأسر الأشخاص وحجز بضائع الرعايا من أعدائها، زاد في التوتر والنزاعات الدائمة بين البلدين[1].

كما سعت على احترام مبدأ التفتيش مرة أخرى مقابل تزويد البحارة الجزائريين بشهادة مستخرجة من القنصلية الفرنسية. وهذا الاتفاق نص على إطلاق سراح الأسرى بين البلدين، ولما كان عدد الأسرى الفرنسيين بالجزائر يفوق عدد أسرى الجزائر بفرنسا، طلب إلى إلحاق بند خاص بالأسرى وسيحدد المبلغ الذي يدفع لافتداء الأسرى الفرنسيين، أما أولئك الذين سيتم استبدالهم رجلاً برجل فلن يدفع أي شيء من أحد الطرفين.وفي شهر فيفري 1670م، أضيفت عدداً من البنود إلى هذه المعاهدة، والتي تناولت عدداً من المسائل منها: اعتبار ملاك السفن مسؤولين عن الخسائر التي يلحقها بحارتها بسفن الطرف الآخر، وتحمل رياس المراكب المسؤولية المباشرة على الاعتداءات التي تحدث بالأسرى ومعاقبتهم معاقبة جسدية[2].

ء-معاهدة 24 أفريل 1684: عندما رجع دوكين من قصفه الثاني للجزائر، كانت مملكة فرنسا تعاني من أزمة، فملك الهامسبورغ في إسبانيا قد أعلن الحرب. وأمام هذه الأوضاع قررت حكومة فرنسا أن تتبع سياسة معتدلة نحو جماعة البحارة في الجزائر، ذلك أن البحرية الفرنسية قد تكون مفيدة في مكان آخر للحاجة إليها قد تكون أشد. ووصل أمير البحر دي تورفيل إلى الجزائر يوم الثاني من أبريل سنة 1684م مرفوقاً بمبعوث القابجي (*Capidji*) من السلطات، مهمته أن يوضح بأن فرنسا والدولة العثمانية على وفاق تام، وأن السلطات ترغب بأن تكون الإيالة الجزائرية أيضا صديقة مع فرنسا. وكان تورفيل مرناً في مفاوضاته بقدر ما كان دوكين خشناً[3].

لقد أثبتت المعاهدة الجديدة عدداً من الترتيبات التي تضمنتها المعاهدات السابقة. حيث التزم الطرفان بإطلاق سراح أسرى كل من البلدين حسب القوائم التي سيتم بناؤها بينهما.

---

[1]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، المرجع السابق، ص. 80.

[2]. المرجع نفسه، ص-ص. 81-82.

[3]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص-ص. 348-349.

وتعهد مدير الباستيون من جهة بنقل الأسرى الجزائريين من فرنسا إلى ميناء الجزائر، حيث يتم تبادلهم مع الأسرى الفرنسيين رجلاً برجل. وقد أكد الجانب الفرنسي في هذا الاتفاق على مسألة الأسرى هذه بحيث تم التعرض إليها في عدد من البنود، استهدفت التأكد على إطلاق سراح كل الأسرى الفرنسيين حتى بالنسبة لأولئك الذين أسروا قبل سنة 1670م، حيث اتفق على فدية هؤلاء بمبلغ 300 جنيه تورتو _فرنسي_ عن كل أسير مهما كان المبلغ الذي اشترى به. كما أكدت هذه المعاهدة مرة أخرى على عدم جواز أسر أي فرنسي من على متن سفينة معادية أو أجنبية، على ظهر سفينة فرنسية تحت أية صفة كان عليها[1].

-معاهدة 24 سبتمبر 1689م: سبقت هذه المعاهدة مهمة المارشال دسيتري على مدينة الجزائر. حيث أن المجلس الملكي خشي أن يفقد تجارة فرنسا في الشرق واحتكار الإنجليز لها. فبدأت في التفاوض من أجلها فأرسلت المترجم القنصلي ميركادي (*Mercadie*). وفي منتصف سنة1689م كتب إلى دي فودري (*Vaudré*) بأن الداي يحضر لإعادة العلاقات بين البلدين، وعندما سمعت فرنسا بذلك أرسلت إلى الجزائر مفتش البحرية المدعو مارشال، وجدد معاهدة دي تورفيل في 25 من نفس الشهر والسنة[2].

وعند توقيع هذه المعاهدة لم تدخل تغيرات جوهرية على ترتيبات معاهدة سنة 1684م إلاَّ فيما يتعلق بقضية الأسرى. فبعد الأخذ والرد اتفق الطرفان على تسوية المسألة بالكيفية التالية: وهي حرية شراء الأسرى بدون تمييز، على أن يتم شراء كل واحد من عساكر الأوجاق ب150 قرشاً، والبحارة الآخرين بسعر كل واحد منهم 100 قرش. وما يلاحظ بخصوص هذا الترتيب هو أن قضية الأسرى لا تزال تحيطها الغموض، ذلك أن الطرفين لم يلتزما برد أفراد بعضهما البعض، وإنما تعهدا بكونهما أنهما سيسمحان بذلك فقط، وغير ملزمين باختيار عادة الأسرى بقبول افتدائهم[3].

---

[1]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619-1830م)**، المرجع السابق، ص _ ص. 98 _ 100.

[2]. محمة عائشة، المرجع السابق، ص. 84.

[3]. جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619-1830م)**، المرجع السابق، ص. 117.

-استنتاجات:

لقد توصلنا في ختام هذا الفصل مجموعة من الاستنتاجات نذكر منها:

- أن علاقة المسيحيين بالسلطة تباينت بين اللين والتوتر، إذ نجد نجد علاقة الأسير بسيده في بعض الأحيان تصل حتى الرتب المرموقة في الدولة كانخراطهم في الجيش. وهناك من يصل إلى رتبة الخزندار أو الطبيب أو مدير في أحد المرافق العامة.في حين نجد علاقة القناصل بالحكام والعناصر النافذة تسعى دائماً لربط العلاقات الحسنة لخدمة مصالحها العامة.
- إن وجود فئة المسيحيين داخل الحكومة الجزائرية ولد عنها الكثير من السلبيات أكثر من ما هو إيجابي، كظهور عملية الجوسسة وكثرة الحروب والحملات، جاء ذلك نتيجة الدعم الذي قدمته كتابات الأسرى وتقارير الرهبان التي تحمل في طياتها التضخيم واللامصداقية، من أجل الإسراع في عملية التحرير وكسب تعاطف الجماهير الأوروبية، الذي سيؤدي به حتما إلى كسر قوة الجزائر العثمانية، عن طريق إرسال جواسيس لدراسة المنطقة.
- عند توتر العلاقات بين الطرفين، تسعى الدول الأوروبية إلى عقد الاتفاقيات والمعاهدات عن طريق المفاوضات من أجل حماية الأسرى الذين يشتكون من خلال رسائلهم وعرائضهم لدولهم، وكذلك رعاية مصالحها ومصالح تجارتها.

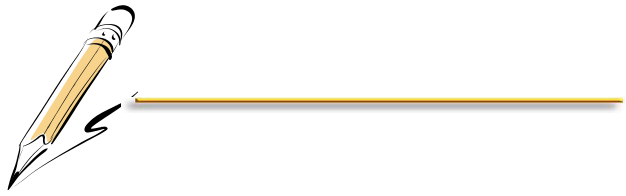

الفصل الثالث

علاقة المسيحين بمجتمع مدينة الجزائر العثمانية

المبحث الأول: اسهامات المسيحين في الجانب الديني الثقافي

المبحث الثاني: اسهامات المسيحين في المجال الاقتصادي

سنتناول في هذا الفصل مدى انسجام الفئة المسيحية مع المجتمع الإسلامي. فالمسيحيون لم يكونوا يعيشون في معزل عن المجتمع الجزائري، فقد بدأوا بمساهمات في مجالات عدة سواء في المجال الثقافي أو المجال الاقتصادي. إلى أي مدى كان تأثير داخل المجتمع الجزائري؟ هل أبدوا الدور الفعال المجال الاقتصادي؟ وماذا نتج عنه؟

المبحث الأول: إسهامات المسيحيين في الجانب الديني والثقافي.

أدى تواجد عناصر مختلفة في الإيالة الجزائرية إلى تنوع في مجالاتها المختلفة، وخاصة في مجال الثقافي والاجتماعي من دين ولغة وعادات...وغيرها. فالفئة المسيحية بحد ذاتها لم تكن بمعزل عن المجتمع الجزائري، بل كانوا يختلطون بأهله ويعملون معهم، وفيهم من لعب الدور البارز في الحياة اليومية للسكان بل تأثروا وأثروا. كل حسب تغلغله[1].

1-التأثير الديني بين المسلمين والمسيحيين.

شهدت الإيالة الجزائرية موجة من الهجرات الأوروبية خلال الفترة العثمانية، هروباً من الأوضاع التي عاشتها أوروبا في تلك الفترة. وبما أن المجتمع المسيحي لا يعيش بمعزل عن المجتمع الجزائري، حدث نوع من التأثر والتأثير بين المجتمعين في كل المجالات ولا سيما تأثرهم بالديانة الإسلامية. ومن جهة المسلمين الذي تأثر بالديانة المسيحية_كما وجد في بعض الكتابات الأوروبية_، قد تكون هذه الأقوال لا تحمل المصداقية، فهي عمليات اتخذها الأسرى والرهبان في كتاباتهم، من أجل تبيان للأوروبيين مدى نجاحهم في عملية التبشير الديني داخل البلاد الإسلامية.

أ-اعتناق المسيحيين للديانة الإسلامية: شهدت إيالة الجزائر عدداً متزايداً من اللذين لجؤا إلى الديانة الإسلامية وبخاصة خلال القرنين 16 و17م، وذلك راجع إلى الأوضاع التي شهدتها أوروبا، والتسامح الديني الذي كانت تعتمد عليه الإيالة الجزائرية، اعتنق منهم الكثير الإسلام طواعية ودون إكراه. فخلال القرنين 16 و17م كان اعتناق الإسلام ظاهرة غير قابلة للقياس الكمي، إذ شهدا هذين القرنين مئات الآلاف من المسيحيين من مختلف البلدان الأوروبية، عبروا إلى الشمال الإفريقي سواء كان طواعية منهم بفرار البحارة والجنود

[1]. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830م)**، ج: 1، المرجع السابق، ص. 151.

من الجيوش والأساطيل المسيحية، أو أنهم فقراء من الجهة الشمالية من البحر المتوسط رأوا في المدن الإسلامية أماكن للسلطة والثروة[1].

إذ نجد ضباط من المسيحيين داخل المؤسسات البحرية الجزائرية، كانوا قد أسروا ثم تخلو عن دينهم في مقابل المعاملة الحسنة والثرة في المجتمع الجديد. إلا أنهم وصلوا إلى أعلى المراتب في البحرية الجزائرية. وهناك مناسبة وقع أثنائها إغراء فرقة كاملة باعتناق الإسلام والاشتراك مع الجزائريين ضد التونسيين. لكن هناك من يقول لن يقع تحت تأثير إغراء المسلمين لهذه الجنود[2].

كما نجد بعض الأسرى الذين وصلوا إلى السلطة عن طريق أسيادهم، أما عن النجارين والحدادين وبنائي السفن وصاهري الحديد، فقد كان في الغالب يغرون عن ترك دينهم ومتابعة عملهم مع المجتمع الجزائري. وكذلك نجد الأطفال والأصدقاء والنساء، فقد كان يعامل الطفل بعد أسره وبيعه معاملة أحد أطفال مالكيه في عائلة خاصة، وهذا راجع إلى طبيعة أهل الحضر المهذبين، ويصبح من السهل على الطفل أن يبنى بيته الخاص ودينه هذا من جهة[3].

أما من جهة الذين يعملون في المنازل الجزائرية، فالكثير منهم يصبحون أصدقاء من أصحاب المنازل، يستفيدوا من هذه المعاملة الطيبة ليستزيدوا من ثروته. أما عن العاملات من النساء فقد كانوا يتزوجن مالكيهم، وقد سعوا لتغيير الديانة للخروج من وراء الحجاب، فقد كان أغلب المسيحيات يتمتعن بالفضول الطبيعي للتعرف على العالم الخارجي الذي من حولهما. وطالما كان الزوج حياً فإن هذه العلاقة تكون مناسبة. لكن هناك حالات ثبت فيها أنه بعد وفاة الزوج أصبح الرقيق مسلماً وزوجاً للأرملة بعد تخليه عن الديانة المسيحية[4].

_ مراسيم معتنقي الإسلام من المسيحيين: فمن مواصفات الجاليات المسيحية التي اعتنقت الإسلام بإرادتها، وتم استقبالها داخل الجماعات الإسلامية فالرجل يفرض عليه أن يلبس في بادئ الأمر لباساً تركياً، ثم يقدمونه إلى العامة وهو يحمل سهماً في يده كإشارة

---

[1]. محمد سبتي، " الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية (1588-1699م)"، **جسور المعرفة**، مج: 06، ع: 01، مارس 2020م، ص. 615.

[2]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص، ص. 225، 227.

[3]. المرجع نفسه، ص-ص. 226 -227.

[4]. جون ب.وولف، المرجع السابق، ص-ص. 226-227.

لاعتناقه الاســـلام، ويطوفون به على صـــهوة جواد تحت أنغام المزامير. وأثناء إقامة الحفل تســمع ترديدات لا إله إلاَّ الله محمد رســول الله. أما النســاء اللواتي اعتنقن الإســلام فيكون الاحتفال بهن أقل من الاحتفال بالرجال، إذ يطلب منهن فقط الاغتسـال قصـد التطهر وإقامة الصلاة وقص ناصية الشعر ثم يطلق عليهن أسماء عربية بدل المسيحية[1].

وقد وصـــل عدد معتنقي الإســـلام خلال القرن 16م بالجزائر إلى 6000 منزل من مجموع 12200 منزل بمدينة الجزائر إذ كان عددهم أكثر من ســـكان الحضـــر والأتراك واليهود. وخلال القرن 17م (1609-1619م) وصل عدد الذين رغبوا في هجرة عقيدتهم إلى 857 ألمـاني 138 رجلاً من همبورغ و300 إنجليزي و130 هولنـدي و160 دانمـاركي و250 بولوني ومجري. وهناك 500 من الهولنديين قد اعتنقوا الإســـلام طواعية. وهم الذين رأوا أن الجزائر رحبت بهم ومنحتهم مكانة اجتماعية بعد المعاملة الحســـنة التي تلقوها من الجزائريين، وعرضـت لهم فرصـاً أكثر للثراء من وطنهم الأصـلي. فكانوا يأمرون بأن يأخذوا طريق يان جانسـز (*Jan Jansz*) ودي فينبور (*D Veenboer*) اللذان أصـبحا بعد اعتناقهما الطوعي للإسـلام يحملان أسـماء عربية مراد رايس وسـليمان رايس، وفي سـنة 1625م كان هنـاك من بين 55 رايس في الجزائر ســـتة أعلاج هولنـديين منهم توماس ويعقوب ورجب، هجروا وطنهم واعتنقوا الدين الإسلامي[2].

ب-اعتناق المسـلمين للديانـة المسـيحية: أما من ناحية المسـلمين الذين تأثروا بالفئات المســـيحية واعتنقوا ديانـاتهم، فلا نعتقد أنـه هنـاك عدداً كبيراً منهم، فـالأعداد التي ذكرتهـا المصـــادر الأوروبية، قد يكون مبالغ فيها حتى لا يتســنى للعالم أنه ليس هناك تأثير فقط بل هناك الجانب المتأثر. إلاّ أن المســـيحيين من الرهبان والقســـاوســـة وكافة مذاهبهم الدينية المتواجدة على أراضـي الإيالة الجزائرية، وبفعل الحرية والتسـامح الديني الذي كان يتعامل به المجتمع الجزائري، فقد ســعوا إلى إنشـاء وتكوين هيئات وكنائس تبشـيرية، داخل الســجون والمستشفيات التي كان يزورها الأسرى لأداء مهامهم الروحية من جهة، وأداء عملية التبشير من جهة أخرى. إذ وجد هناك ثلاث كنائس سـنة 1643م وهما: كنيسـة الثالوث المقدس في سجن الباشا وكنيسة القديس روش (*Roch*) في سجن على بتشنين وكنيسة القديسة كاثرينة[3].

---

[1]. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص. 267.

[2]. محمد سبتي، المرجع السابق، ص. 615.

[3]. دباب بومدين، المرجع السابق، ص. 46.

كما نجد المؤسسات الإستشفائية التي كانت تستقبل المرضى من الأتراك والحضر المسلمين في الجزائر خاصة أيام وباء الطاعون. الأمر الذي جعل المجال الواسع أمام العمليات التبشيرية، علماً أن هذه المستشفيات تحتوي على كنائس وأسقفيات يقام فيها القداس اليومي والاحتفالات الدينية الصارخة، بحضور بعض المسلمين من الأتراك والمغاربة[1].

فهذا العمل الخيري الهدف منه استمالة العنصر الإسلامي وتحريك مشاعر التقدير والاحترام تجاه العنصر المسيحي وديانته. فقد قام مؤسس التنظيم اللازاري سان فانسان دو بول (*Saint Vincent. De paul*) في النصف الأول من القرن 17م بإرسال، اثنين من إخوته وهما (*M. Du coudray*) (*M. Boucher*) إلى مدينة الجزائر في مهمة لافتداء 80 أسير، وتمسيح آخرين على أن يرافق هذان المبشران بجراح، يعمل على تأسيس مستشفى صغير من أجل الحصول على حق الإقامة المطولة في الجزائر. فلا يوجد طريقة *Saint vincent de Paul*) أكثر فعالية وتبني الديانة الكاثوليكية من طرف الطب والاستشفاء[2].

استعانت هذه الطوائف التبشيرية الفرنسية في عملها بزميلتها الأسبانية، إذ أقامت لها هياكل ومعابد دينية ومراكز متعددة، محاولة بذلك خلق الفرص المواتية لإثارة دول أوروبا المسيحية ضد المسلمين. ولقد نجح القساوسة في هذه المرة، وأخذت الحكومات الأوروبية تعتمد عليهم في تبرير غايتها وتوجيه مقاصدها السياسية لدى حكومة الجزائر. وما زادهم تمكننا في ذلك معاملة الوزير الفرنسي كوكبير وإحسانه إليهم، وأصبح التعويل على تخليص الأسرى المسيحيين عن طريق هذه الجماعات الأوروبية المتشبهة بالدين وعلى الأخص رجال الكهنوت منهم، عهدت إليهم حكوماتهم بالتمثيل الدبلوماسي والقيام بوظائف السفراء، حتى اجتمعت المصلحة المسيحية إلى المصلحة السياسية الفرنسية، وأصبح ممثل فرنسا هو ممثل المسيحية في أراضي المسلمين[3].

أما بالنسبة لعدد المسلمين المعتنقين للديانة المسيحية، فلا توجد إحصائيات حول عدد المسلمين الذين تركوا الإسلام واعتنقوا المسيحية تحت تأثير هذه البعثات في الجزائر. وسبب وجود عدد معتبر منهم، الهدف منه هو تأكيد وجود نية التبشير ونشر الديانة المسيحية في

---

[1]. حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 119.

[2]. حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص _ ص. 119 _ 120.

[3]. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 3، المرجع السابق، ص. 164.

الجزائر من طرف هذه البعثات التي يعتبر عملها وجها آخر للحروب الصليبية في شمال إفريقيا[1].

2-تأثير العادات:

إن العلاقات بين أفراد المجتمع عامة والعبيد لم تكن مبنية كلها على الاعتبارات المادية فقط، وإنما كان منها ما هو مبني على الاعتبارات الروحية أيضا، لأن هؤلاء العبيد مهما كانت الخصائص التي يشتركون فيها مع عناصر الملكية الأخرى، فهم يبقون دائماً متميزين عنهم بكونهم بشراً تجمعهم مع أسيادهم الخاصية الإنسانية، خصوصا لما يعتنقون الإسلام كما كان يحدث لكثير منهم، مما يقوى العلاقة بين الجانبين ويجعلها تقترب من الأخوة، لأنها تصبح قائمة على الدين، وهو ما يجعل الأسياد يشعرون بالمسؤولية الاجتماعية تجاه عبيدهم ويندفعون إلى الإحسان إليهم[2].

بما أن المجتمع المسيحي ليس بمعزل عن المجتمع الجزائري، فقد شاركهم احتفالاتهم ومناسباتهم، وهناك من كان له أصدقاء، فمثلاً نجد درندا (*D'aranda*)، الذي سرعان ما أصبح صديقاً حميماً مع سيدته الجديدة التي منحته حرية كبيرة، وسمحت له بحضور الصلاة العامة كل يوم في سجن علي بتشين[3]. غير أنه في بعض الأحيان كان ينسى أنه عبداً ويسلم نفسه لبعض الملذات التي كان يمارسها أثناء الفرص المتاحة، لأنه كان معروفاً في المدنية ويملك العديد من الأصدقاء من الشباب المرموقين، فقد كانوا يدعوه دائماً لحضور حفلاتهم وأعراسهم، كما كان يحضر الجنائز. إذ وصف بعض مراسيمها قال:"...فبعد موت الميت مباشرة يجتمع الأهل والأصدقاء ويصدرون صراخاً يمزق القلب"[4].

أما بالنسبة لعلاقة قناصل الدولة بالمجتمع، فكانوا يدعون ليشتركوا في الاحتفالات، ولكن ليس بصفتهم ممثلين لدولة مستقلة، وإنما يدعون لكي يقدموا تحياتهم إلى الداي للثناء على قوته وعظمته، لأنهم يُتْرَكُونَ في وسط الجماهير ولا يخصص لكل واحد منهم مكانة. إلاّ أن من قواعدهم يقبلون يد الباشا في كل مرة يقفون أمامه. فالدول الأوروبية حاولت أن

---

[1]. حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص. 119.

[2]ـــ خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م، (غير منشورة)، ص. 759.

[3]. جيمس ويلسون ستيفينس، المصدر السابق، ص. 232.

[4]. عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص، ص. 89، 91.

تحرر قناصـــلها من هذا التقليد المهين والذي يدل على الخنوع، وبعد فترة ألغيت هذه العادة بالنسبة لجميع قناصل الدول[1].

فمن الأشـياء التي طلبت من القناصـل ووكلاء الأجانب والآخرون، الذين لهم صـفة رسـمية في قصـر الداي هي نزع أحذيتهم. فهذه المراسـيم متوقعة دائماً، ويقترب زواره منه باحترام كبير ويقبلون يده ويجلس الداي على بلاطات من الرخام أو الإردواز... بينما هم جالسون على هذه الحالة، يقدم لهم العبيد القهوة التي تعتبر أكبر تعامل حضاري يمكن للزائر أن يحصل عليها، وتعد علامة من علامات التقدير التي تقدم للزائر[2].

وهنا فالنصارى من الأسرى المسيحيين والأحرار، الذين كان أغلبهم يشكلون نسبة كبيرة من سكان مدينة الجزائر. غالباً ما اكتسبوا تقاليد وعادات أهالي البلاد، واندمجوا اجتماعياً في باقي الجماعات، مع احتفاظهم بملابسـهم الخاصـة وخضـوعهم لمعاملات خاصـة نظراً لمعتقدهم[3].

3-التأثير اللغوي:

اللغة هي مظهر حضاري يتداول بين الإنسان جملة من الأفكار والمعارف، التي ينتجها الإنسان ليتواصل ويتفاعل بها مع الآخرين. فتواجد المسيحيين داخل الإيالة الجزائرية، أصبح من الضـروري تواجد لغة جديدة بينهم وبين المجتمع الجزائري، وهذا الأمر راجع إلى احتكاك طبقات المجتمع الجزائري مع الفئة المسـيحية، وكذلك انفتاح المدن السـاحلية على الخارج ووجود العناصـر الدخيلة. كما نجد انعزال الحكام واحتفاظهم بلغتهم وعاداتهم العثمانية. مما نتج هناك تنوع لغوي بين الأوروبيين والجزائريين[4].

وكانت المقاهي من الأماكن التي تتيح للأجنبي الفرصـة للتعرف على الشـعب، ويتعلم لغتهم، بل لا يوجد بالنسـبة له مكان آخر يتعلم فيه التعابير الشـعبية مثلما يتعلمها في المقاهي[5].

---

[1]. وليم شالر، المصدر السابق، ص-ص. 67-68.

[2]. جيمس ويلسون ستيفنس، المصدر السابق، ص. 224.

[3]ـــ ناصر الدين سيعدوني، " مخطوط-قانون أسواق مدينة الجزائر-لعبد الله محمد بن الحاج الشويخات"، **حوليات جامعة الجزائر**، مج: 5، ع: 1، الجزائر، د: ت، ص. 123.

[4]. خديجة حالة، المرجع السابق، ص-ص. 126-127.

[5]. أبو العيد دود، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830-1855م)**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975م، ص. 63.

إذ يعطينا بعض الرحالة تصـــريحا بوجود أعداد كبيرة من الأتراك في مدينة الجزائر، ويعترف أنه كان يتحدث إلى مجموعة من ســـكان مدينة الجزائر ومنهم إســـبانيا. يقول عنه:"اســـتعملته بكلام حلو فقادني إلى أماكن عديدة في مدينة الجزائر". فقد كانت اللغة العربية شائعة الاستعمال، لأنها اللغة التي تجمع عرب الداخل الحضر والمهاجر من الأسبان الموريســـكيين، وقد أدى تواجد المرتزقة والأســـرى بأعداد كبيرة، وكذلك التجار الأوروبيين المقيمين في المدينة إلى وجود لغة عمل جديدة (*Lingua Franca*)[1] تدعى *فرنكو*(*Franco*) أو *سبير*(*Sabir*)[2].

أثرت هذه اللغة على الســـكان المحليين وخاصـــة التجار. إذ نجد بعض المفردات الإفرنجية التي أصـبحت متداولة بين الأواسـط الاجتماعية، مثلاً نجد (ضـبلون) وهي كلمة إسـبانية تدل على الدينار المصـنوع من الذهب. و(جلنار) أي جينيرال. وسـقالة وهي كلمة ايطالية أي الرصـيف بمعنى الطريق المبلطة بالحجارة على السـاحل البحر، وأيضـا السـلم للصعود والهبوط من السفينة. و(شنيوز) وهو السنيور بمعنى الشريف النسب والرئيس وهذه الكلمة أصلها لاتيني. و(لنبلادور) كلمة اسبانية معناها القيصر. و(قرقاطة) بالقاف المعقودة وهي كلمة افرنجية وتدل على نوع من السـفن الحربية والجمع فرقاطات وفراقط. و(باسـبور) كلمة افرنجية بمعنى الإذن للســـفر. وهذه المفردات وغيرها اســـتعملها الجزائريون من جراء معاملاتهم التجارية مع أمم الدول البحر المتوسط[3].

وبسبب إتقان المسيحيين للغة العربية، وصل بعضهم من استغنى عن المترجمين مثل القنصـــل الإنجليزي بروس (1763-1765م) من خلال تعلمه لحروف اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم، استطاع التعامل مع السكان المحليين واكتسب مهارة اللغة العامة. إذ به يكتب في بعض كتاباته كلمات مثل:" السـلام عليكم...وعليكم السـلام"، واسـتعمال كلمة "الله أكبر" و"الله عظيم رحيم". إضـافة إلى تعلم المجتمع القنصـلي الأوروبي للغة العربية، اسـتخدم هذا

---

[1]ـــ لغة Lingua franca: هي عبارة عن خليط من المفردات، يتداولها التجار والبحارة لقضـاء مآربهم في موانئ البحر الأبيض المتوسـط. وتتألف هذه اللغة من كلمات عربية وتركية وإيطالية وإسـبانية وبروفانسـية...وغيرها.(أنظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج: 4، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص. 24).

_ أنظر: وليم شالر، المصدر السابق، ص. 39.

[2]. وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 102.

[3]ـ نور الدين عبد القادر، **صفحات من مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص-ص. 251-252.

المجتمع لغة أخرى تعرف باللغة الدبلوماسية في مراسلاتهم مع دولهم، تعتمد على التورية الرشيدة الحذرة، التي تمكن المجتمع القنصلي من أن يقول بعضهم البعض شيئا حاداً دون إثارة المشاكل للأيالة أو تجاوز حدود الآداب[1].

كما أظهر الاحتكاك الأوروبي الجزائري ظواهر لغوية، أدت إلى انتقال مصطلحات عربية جزائرية إلى قلب أوروبا، ومن بين المفردات المستعارة والمستعملة في هولندا نجد مثلاً:(*Bark*) بارجة، (*Feloek*) فلوكة، (*Tartaam*) طريدة، (*Atlas*) أطلس، (*Drogman*) ترجمان، (*Safari*) سفير عبر السواحلية[2].

المبحث الثاني: إسهامات المسيحيين في المجال الاقتصادي.

إن مساهمة الأوروبيين في المجال الاقتصادي، لاسيما في مجال الصناعة والتجارة، إذ ساهموا بدورهم في التطور الاقتصادية للبلاد الجزائرية. مما جعل لها الدور الفعال في المجال الصناعي من خبرات نامية وصناعات جديدة ومتنوعة هذا من جهة. وإلى ربط العلاقات التجارية الخارجية مع مختلف البلدان الأوروبية من جهة أخرى. نجد مثلاً فرنسا بكونها هي السباقة في تمثيلها القنصلي داخل الإيالة الجزائرية.

1-إسهاماتهم في النشاط الصناعة:

عرفت البلاد الجزائرية في العهد العثماني نشاطاً صناعياً شمل أغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية، التي كانت معروفة في الأقطار الإسلامية والبلاد الأوروبية[3]. ففي مدينة الجزائر عرفت العديد من المهن والصناعات التي تهدف إلى سد الحاجيات الضرورية للسكان. فقد انتشرت أغلب المشاغل اليدوية والمهن التقليدية في أزقة عرفت بأسماء الصناعات التي احتضنتها يراقبها المحتسب وشيخ البلد...وغيرهما[4].

ففي مطلع العهد التركي ازدهرت مدينة الجزائر فترة من الزمن لا تزيد عن القرن والنصف في الصناعة، فتعدد فيها الحرف، وكثرت فيها الورش، وازدحم فيها الصناع. إذ شهدت نوعاً من الازدهار، ويعود ذلك إلى وجود فئات اجتماعية مختلفة كلا منهما جلب معه

---

[1]. خديجة حالة، المرجع السابق، ص _ ص. 127 _ 128.

[2]. المرجع نفسه، ص. 128.

[3]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 61.

[4]ـــ عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)**، تح وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة، الجزائر، 2012م، ص. 25.

حرفة معينة متخصص بها. فمن أهم الصناعات في تلك الفترة صناعة الأقمشة وصناعة الأحذية والأكياس الجلدية...ودعت حرفة القرصنة وركوب البحار، بالأتراك إلى الاعتناء بصناعة السفن والمراكب مختلفة الأحجام[1]. كما اهتمت كذلك بصناعة أنواع من الأسلحة ومواد أخرى، كالبارود الذي ساهم في صنعه بالدرجة الأولى المسيحيون من الأسرى والأحرار من خبراء أتوا بهم من أجل هذه المهمة.

أ-صناعة السفن: يصفها خير الدين باشا قائلاً:" زرت إسطنبول مع بعض البحارة الجزائريين، انبهر البحارة عندما رأوا إسطنبول، وتجولوا في مضيقها...وكم كانت دهشتهم عظيمة لما رأوا المصنع السلطاني لبناء السفن"[2]. ومن أجل نقل هذه الصناعة تدرب الشباب الجزائريون في مصنع بناء السفن[3]. فأولى الحكام اهتمامهم بصناعة السفن الحربية منذ العهد الأول[4]. إذ وجد ورشات لصناعة السفن وتصليحها في كثير من موانئ المناطق الساحلية منها موانئ مدينة الجزائر. وخلال القرن 16م أصبحت تتوفر على أحواض لصناعة السفن تمكنها من صنع الغليوطات ذات 22 مقعداً للتجديف. وبمرور سنوات قليلة أصبحت المراكب والزوارق وغيرها تصنع في المراسي الجزائرية الأخرى. ولم يكن ميناء خير الدين موجها لأن يكون ملحاً سفن فقط، وإنما كان ترسانات لصناعتها أيضاً. كانت المراكب الكبيرة تصنع على ساحل باب الوادي، في حين تنشأ السفن الأقل كبراً على ساحل باب عزون[5].

وعن مصادر التموين قد عينت الإدارة قائداً خاصاً لاستغلال الغابات الساحلية واهتمت بمادة الخشب المخصصة لهذه الصناعة، لمواجهة الأخطار الخارجية. إذ كانت جل المعاهدات تنص على أن تكون معظم إتاواتها من مادة الخشب[6].غير أن هذه الأخشاب

---

[1]. علي عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص _ ص. 298 _ 299.

[2] ـــ أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية(1519-1830م)**، المرجع السابق، ص. 51.

[3]ـ محمد بن سعيدان، **التطورات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/ 17م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي _اليابس_، سيدي بلعباس، 2018 _ 2019م، (غير منشورة)، ص. 132.

[4]. محرز أمين، المرجع السابق، ص. 133.

[5]. عائشة غطاس، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص. 99.

[6]ـ أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830م)**، المرجع السابق، ص-ص. 228-229.

كانت تجلب من غابات عديدة نذكر منها غابات القل الغنية بأشجار البلوط الأخضر وغابات القالة، غير أن هذه الأخيرة أكثر ملائمة لصنع أقفاص السفن لقابليتها للانحناء والتقوس[1].

أما عن طاقم السفينة وتجهيزها، فكان رياس البحر في بداية الوجود العثماني في الجزائر من الأتراك العثمانيين الذين استقدمهم عروج وخير الدين، وبعد فترة قصيرة أصبح معظم الرياس من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام[2]. فبالقرب من مدينة الجزائر_في حي باب الواد_ بني فرن كان يعرف بدار النحاس حيث أمكن سبك أنواع بسيطة من المدافع الخفيفة بالاستعانة بالأسرى المسيحيين والالتجاء إلى تقنيين أوروبيين منهم المهندس الفرنسي دوبون(*F. Dupont*)[3].

وهذا الأمر راجع لانعدام الخبرة الضرورة في بعض الصناعات المهمة، كالصناعة الأسلحة وبناء السفن وسك النقود وتذويب المعادن وتشكيل الزجاج وصياغة الحلي، والأسرى المسيحيون والمتطوعون الأوروبيون، يتولون بناء السفن وسبك المدافع ومعالجة الجير وإقامة المطاحن وتحضير البارود[4].

فبالنسبة لصناعة السفن أوكل القرصان الفلاماندي سيمون *دانسا*(*Simon dansa*) الإشراف على صناعة السفن[5] المستديرة أثناء إقامته بالجزائر في القرن 17م. ثم أصبحت صناعة السفن بعد ذلك من اختصاص المتعاونين المالطيين والفرنسيين والأسبان دون غيرهم، كالمهندس المالطي الذي استخدمه الباليك في القرن 18م في البناء السفن، بعد تملصه من خدمة الفرنسيين في طولون وتفضيله الإقامة بالجزائر. والمهندس الفرنسي جوفراي (*Geoffray*) الذي وضعته حكومة الثورة الفرنسية عام 1798م في خدمة الداي بابا حسان لعلاقته الوثيقة بها. والمهندس الاسباني ماسيترو انتونيو (*Maestro Antonio*) الذي أوكل إليه التصرف في الترسانة البحرية للجزائر عام 1800م، والذي تمكن من صنع

---

[1]. عائشة غطاس، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، المرجع السابق، ص. 100.

[2]. محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص. 136.

[3]. ناصر الدين سعدوني، " الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر– تونس–طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي"، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، ع: 31، 1431هـ / 2010م، ص. 34.

[4]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 64.

[5]. أنظر الملحق رقم 11.

فرقاطتين للبحرية الجزائرية. والمهندس المرسيلي غازال (*Gazel*) الذي لم يطل عمله بالترسانة الجزائرية إذ مات في سنة 1815م[1].

تنوعت أنواع السفن باعتبارها أهم وسيلة لتحقيق المكاسب والنفوذ بالجزائر العثمانية، فقد عرفت تطوراً كبيراً كانعكاس ايجابي لدار الصناعة[2] أو الترسانة، أو نتيجة لعائدات الغنائم البحرية. وعن أهم السفن نذكر: الفرقاطات، وكوريطات، وسفن من نوع ربيك، وكانت تهتم بالمراقبة بالدرجة الأولى لأنها هي التي تشكل القوة البحرية الأساسية للأسطول الجزائري. وهناك أنواع أخرى أهمها: غواليت، كيشف، كيرلاجي، كورفيت، فلوك، بومبارد...[3].

وقد أدى الاعتماد على الخبرة الأجنبية إلى عجز الجزائريين عن إصلاح السفن الكبيرة، ولم يعودوا قادرين إلاّ على بناء سفن صغيرة لا تتعدى حمولتها300 طن، وهي سفينة لا تتطلب المهارة والخبرة، وتكتفي باستخدام الأخشاب المحلية التي تشحن من ميناء بجاية إلى مرسى الجزائر.

ب-صناعة الأسلحة: وتشمل صنع البنادق وسبك المدافع وتحضير البارود، الذي كان يصنع بالمدن الكبرى، ففي مدينة الجزائر كان يوجد مصنعان أحدهما لتحضير البارود والآخر لصنع المدافع وتشكيل القنابل[4]. وحسب الحفريات القديمة، وجد مستودع للأسلحة، تم بناءه في سنه 1573م من قبل عرب باشا، ولكن يوجد على الميناء ورشة هامة لإصلاح السفن. ومن خلال هذه استطاع الجواسيس الأسبان معرفة اسم المستودع وعدد المدافع في المدينة في سنة 1533م، إذ وجد 21 قطعة مدفعية منها 6 مدافع صغيرة مصنوعة من الحديد. وفي نهاية سنة 1535م تم إعادة بناء الأسطول واستطاع خير الدين أن يعود إلى البحر على رأس 32 سفينة مدفوعاً بقوته الجديدة[5].

أما عن مصنع دار النحاس تم إنشاؤها سنة 1534م وهو التاريخ الذي تولى فيه خير الدين لقب "بايلرباي" من طرف السلطان، إذ وجد بضاحية باب الواد، وهو عبارة عن مبنى

---

[1]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص _ ص. 64 _ 65.

[2]. أنظر الملحق رقم 12.

[3]. محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص. 137.

[4]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 66.

[5]. كورين تشوفاليه، المصدر السابق، ص. 86.

ضخم به مخزن عالي يصهر به النحاس والحديد[1]. ثم تحول مع بداية القرن 18م إلى صنع المدافع وتشكيل القنابل من مادة الحديد فقط[2]. حيث أمكن سبك أنواع بسيطة من المدافع الخفيفة[3] بالاستعانة بالأسرى المسيحيين، والالتجاء إلى تقنيين أوروبيين منهم المهندس الفرنسي دوبون [4](*F.Dupont*). وهذا الأمر راجع لعدم وجود الخبرة الضرورة في بعض الصناعات المهمة، كصناعة الأسلحة وبناء السفن وسك النقود وتذويب المعادن وتشكيل الزجاج وصياغة الحلي. والأسرى المسيحيون والمتطوعون الأوروبيون الذين تولوا بناء السفن وسبك المدافع ومعالجة الجير وإقامة المطاحن وتحضير البارود[5].

ج_الصناعة التحويلية: وتتعلق بتحضير مواد البناء، وتذويب المعادن كالحديد والفضة والزنك واستخراج الملح وصناعة العملة. وقد اشتهرت مدينة الجزائر بتنوع صناعاتها التحويلية. إذ تتوفر على عدد كبير من أفران الجير والآجر ومقالع الحجارة المستعملة في بناء الحصون والأسوار، وكذلك ورشات صنع القطع الحديدية كالأقفال وأنابيب البنادق والزناد[6]. حيث كان الأوروبيون قائمون على هذه الصناعة، ويشرفون على سبك المدافع وتحضير الرصاص الواقع بباب الواد. إلاّ أنهم قائمون على بناء الجسور والتحصينات والمطاحن الهوائية، أو مكلفون بتحضير الجبس ومواد البناء. لهذا لو يجد البايليك أثر تناقص الأسرى وانسحاب المتعاونين، الذين يقومون بإصلاح المطاحن الهوائية الواقعة بالقرب من مدينة الجزائر، يؤدي إلى أثر تعطلها في نهاية القرن 18م[7].

2_إسهاماتهم في النشاط التجاري:

كانت للجزائر مكانة رفيعة تمتعت بها من خلال مؤسساتها التجارية. فالحكام الأتراك في تلك الفترة لم يهتموا بالمجالات الدينية والثقافية، فقط بل شجعوا المجال الاقتصادي

---

[1]. محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص. 137.

[2]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 66.

[3]. أنظر الملحق رقم 13.

[4]ـــ ناصر الدين سعيدوني،" الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب الشمالية (الجزائر–تونس–طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي"، المرجع السابق، ص. 34.

[5]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 64.

[6]. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 67.

[7]. المرجع نفسه، ص، ص. 61، 65.

بالدرجة الأولى، الذي كان يدرُ أرباحاً طائلة لخزينة الدولة طيلة الحكم العثماني في الجزائر، فقد اهتموا بالتجارة وساهموا في بناء أسواق كبيرة ومراكز للبيع والشراء. كما سمحوا بتوسيع وفتح الأبواب أمام البلدان الأوروبية، مما يؤدي بناء إلى دراسة الواقع الذي رسمه التجار الأوروبيون في الجزائر وبالأخص مدينة الجزائر، وممارستهم التجارة الداخلية والخارجية. كما نبين كيفية التعامل مع السكان المحليين عن طريق الوسطاء.

شهدت الجزائر نشاطاً تجارياً كبيراً سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، ساهم في هذا النشاط معظم المدن الساحلية الشمالية. إلاّ أننا نجد مدينة الجزائر التي تميزت أثناء العهد العثماني، بكونها مركزاً تجارياً هاماً وسوقاً رئيسياً للبلاد الجزائرية وخاصة الجهات الوسطي _دار السلطان وقيادة سباو وبايليك التيطري_ فعن طريق مرساها يتم تصدير واستيراد أغلب البضائع والسلع لمختلف الأقاليم الجزائرية[1].

غير أن التجارة الداخلية كانت تتهرب قدر الإمكان من المكوس، وكذلك التجارة الخارجية كانت تقصد بالخصوص المراكز التجارية التي لا تشتد بها المراقبة الإدارية والضرائب الحكومية[2]. كل هذا إلاّ أن مدينة الجزائر هيمنت دوماً على العلاقات التجارية الداخلية مع باقي مدن الإيالة، وكان ذلك راجع لدورها السياسي نظراً لمقر السلطة ومن جهة أخرى لوزنها الديمغرافي، الذي جعل منها أول مركز استهلاكي في البلاد، تصب في الأسواق مختلف البضائع والمنتجات سواء من المناطق القريبة_دار السلطان_ أو من البياليك الثلاث[3]. وبقية على هذا الازدهار إلى غاية سنة 1817م، حين قام الداي علي خوجة بنقل المقر إلى القصبة، قصد الابتعاد عن سيطرة الجيش الإنكشاري والتخلص منه. فهي إذاً مركز إداري وتجاري وثقافي وديني. إن هذه العوامل مجتمعة تبرز بالأهمية البالغة لهذا القسم من المدينة[4].

---

[1]. عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص. 28.

[2]. علي عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص. 331.

[3]. أمين محرز، المرجع السابق، ص. 121.

[4]ـــ عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر(1700-1830م) مقاربة اجتماعية_اقتصادية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م، (غير منشورة)، ص. 254.

إن الدور الاقتصـــادي الذي لعبته مدينة الجزائر أقر به علي بن محمد التمقروتي[1] قائلاً:" هذه المدينة واسعة جداً مسورة كثيرة الأبواب والعمارات والمساجد والجوامع والأسواق والحمامات والفنادق...وأسواق المدينة لا تحصى ولا تعد، فيها من كل شيء مما يذكر من متاع الدنيا ما يقول الإنســان لو اجتمع أهل الأرض على أخذه لوســعهم وفضــل عنهم". فالرحالة هنا يقصد تعدد الأسواق بحسب تعدد السلع والتجار.

يقول الأب دان(*P.Dan*) بأن التجار الذين يأتون إلى المدينة كانوا يكترون بيتاً للإقامة فيه، بينما التجار الموريون والعرب الذين يأتون بمنتجاتهم إلى المدينة كان يقيمون في باب الوادي. وهذا ما كانت عليه الحالة في القرن 19م[2]. بينما يقول كورين شـــوفالييه[3]:" تتمتع مدينة الجزائر بازدهار أكيد، وهذا راجع إلى موقعها على شاطئ البحر وعلى مقربة من سهل متيجة الغنى، مما أدى إلى ســـهولة التجارة في هذه المدينة. كما يشـــهد على ذلك وجود قيســارية وهي حارة متخصــصــة للتجار الأوروبيين والذين كان لهم الحق في وجود قنصــل وكنيسة ودكاكين وحوانيت خاصة بهم، كما أنهم يمتلكون مساكنهم الخاصة".

لقد لعبت مدينة الجزائر دوراً هاماً في مجال المبادلات التجارية بكونها مركزاً تجارياً هاماً وسوقاً رئيساً. فعن طريق مرساها يتم تصدير واستيراد أغلب البضائع، ومما دعم النشاط التجاري بمدينة الجزائر ارتباطها تجارياً مع العديد من الدول الأوروبية مثل فرنســـا وانجلترا وهولندا والســويد والمدن الايطالية. فقد كانت مدينة الجزائر ممر نحو الموانئ الأوروبية. وفي مقدمتها ليفورنا ومرسيليا وجنوة. تصدر كميات من الحبوب[4] في المقابل كانت تستورد ما هي في حاجة إليه من مواد معالجة ومصنعة[5].

---

[1]. المصدر السابق، ص-ص. 90 -91.

[2]. نقلاً عن فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص-ص. 306-307.

[3]. المصدر السابق، ص. 12.

[4]ـــ كانت الجزائر تصدر القمح والشعير وكميات معتبرة من الزيت والشمع والصوف والجلود والتمر والدخان وريش النعام وغيرها. (أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "مخطوط-قانون أسواق مدينة الجزائر-لعبد الله محمد بن الحاج شويحات"، المرجع السابق، ص. 124).

[5]ـــ المواد المستوردة: كالأقمشة القطنية والحريرية، وبعض العتاد الحربي وصفائح من حديد والنحاس والرصاص وقطع الزجاج والزليج والآجر والتوابل والبن والسكر والدخان والأعشاب الطبية. (أنظر: عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص. 34).

فمن الدوافع التي ساهمت في نشاط الحركة التجارية المتوسطية هي تطور الطبقة التجارية الأوروبية. مما دفعت الضرورة إلى البحث عن مراكز تجارية في سواحل شمال إفريقيا، إما لاستغلال موارد البلاد، أو لاستغلالها كمحطات توقف لتزويد السفن بالماء والمؤن أو كقواعد عسكرية[1]. فتوجه التجار الأوروبيون من مختلف البلدان نحو السواحل الشمالية لإفريقيا، متمركزين نظرهم نحو مدينة الجزائر، إذ نجد مثلاً التاجر البريطاني دون خوان وولف(*Juan .Wolf*) عام 1779م، الذي تميز بكبر تجارته وخبرته الواسعة بشؤون بلدان المغرب العربي، كما يعرف أساليب المعاملة مع إيالة الجزائر، إذ شهدت تجارته رواجاً واسعاً خاصة في إسبانيا وايلندا وانجلترا[2].

ومن التجار المتواجدين في مدينة الجزائر خلال الفترة الأخيرة من طرد الأسبان من مدينة وهران، نجد بارطولومي اسكوديرو (*Bartolome Escudero*)، الذي اقترض مالاً من الجزائر ثم فر إلى إسبانيا. فطلبت الجزائر من إسبانيا دفع المبلغ المالي الذي اعتبرته إسبانيا قضية شخصية، والتزمت بدفعه لما تسترده من التاجر حفاظاً على العلاقات الودية بين البلدين وقدر ذلك المبلغ 4 آلاف سكين[3].

أما بالنسبة للتجار الذين يتم تعيينهم. فقد كان هناك قناصل تجمعهم وتحمي تجارتهم. إلا أن معظم بنود المعاهدات التي تعقد بين البلدين نصت على حماية التجار. نأخذ على سبيل المثال ما نصت عليه معاهدة 10 أوت 1746م بين الجزائر والدانمارك في بنديها 12 و14، الأول نص على " ضمان أمن وسلامة التجار، بحيث لا يتم بيعهم أو استرقاقهم في الأراضي التابعة لمملكة الجزائر، ولا يفرض على أحد منهم دفع فداء أي أسير ولو كان من أقاربه ماعدا إذا رغب ذلك". أما بندها 14 يتكلم على الحرية التجارية المطلقة في اقتناء البضائع التي يرغبون فيها، فلا يجبرون على شراء بضائع ضد إرادتهم ولا يسمح باستعمال سفنهم من طرف غيرهم، أو إرغامهم بالقيام بأسفار أيضا[4].

---

[1]. بليل رحمونة، المرجع السابق، ص-ص. 217-218.

[2]ـــ يحي بوعزيز، **المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780-1798م)**، المرجع السابق، ص. 77.

[3]ـــ يحي بوعزيز، **المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780-1798م)**، المرجع السابق، ص. 15.

[4]ـــ عائشة غطاس، " أول حلقة في العلاقات الجزائرية الدانماركية معاهدة 22 رجب 1159هـ/ 10 أوت 1746م"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع: 3، الجزائر، 1987م، ص-ص. 132- 133.

فالتجار الأوروبيون كانوا يتمتعون بحرية مطلقة في الأواســـط الاجتماعية، ويتداولون السلعة كما يشاءون بينهم وبين السكان المحليين، إذ كانوا يتواصلون بين البائع والمشترى عن طريق الوسطاء، لأن البائع الأجنبي لا يتقن اللغة المحلية والبائع لا يثق في هذا المجال. لذلك يتم اختيار أشـــخاص ذو ثقة يتولون هذه المهمة، أغلبهم من اليهود والتجار الأحرار الأجانب القدماء بالإيالة وبعض المسيحيين الصغار، وفي أواخر الفترة من الحكم العثماني كان كبار المسؤولين يقومون بدور الوسيط لكسب المال[1].

ومن هنا نلاحظ غياب دور الوســـيط الأهلي والتاجر المحلي في التجارة الأوروبية بالجزائر. وفي واقع الأمر فإن الحكام هم من كان يتعامل مع الأوروبيين التجار في تســـويق بضـــاعتهم خارج الإيالة، بالتالي تدريجياً أخرجت التجارة من أيدي الجزائريين، الذين هم في الأصـــل أصـــحابها الحقيقيون، إلى التجار الأجانب وبأرباح طائلة على مرأى ومســـمع من الحكام. بل تعدوا إلى خداع الفلاحين بمبالغ بسيطة وغشـــهم. وعليه فالتســـويق لم يكن يتم بطريقة بين التاجر ومفوضه[2].

أما فيما يخص بعض المواد التجارية، فقد كانت تتاجر من طرف حكومة الإيالة الجزائرية منذ إدخاله في الهيئة الاقتصادية. فالتجار ليس بإمكانهم التفرغ لتجارة واسعة مثل الجلود والشـــمع والعســـل، باســـتثناء الذين يعقدون اتفاقاً مع الحاكم العثماني لشـــراء هذين المنتوجين من السكان المحليين ثم بيعها للمسيحيين[3].

غير أن هناك اتصال مباشر بين الأهالي والتجار الأوروبيين، وذلك لما أصبحت لهم مؤســـســـات تجارية، ومحطة للمبادلات التجارية بينهم وبين القبائل المجاورة إذ تبادل التجار الأوروبيون القمح والشـــعير مقابل منتجات أوروبية. وإلى جانب الوســـطاء اليهود، كانت السلطات المحلية تتولى مهمة الوسيط التجاري بين المؤسسات والتجار الأوروبيين والأهالي برعاية الســـلطة الحاكمة شـــخصـــياً، إذ كان بين الطرفين علاقات عامة في ظل العلاقات

---

[1]. خديجة حالة، المرجع السابق، ص. 76.

[2]. خديجة حالة، المرجع السابق، ص. 79.

[3]- عبد القادر صحراوي، "الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق"، **الحوار المتوسطي**، ع: 1، الجزائر، د: ت، ص. 90.

الدبلوماسية والاقتصادية، من دفع رسوم الجمارك ودفع مبالغ سنوية للباليك، من أجل الحماية والسماح بممارسة التجارة وصيد المرجان، وغيرها من اتصالات خاصة للباي[1].

كانت تقام في أنحاء القطر أسواق أسبوعية، في أيام معينة وفي المداشر والقرى والمدن، إذ لازالت قرى ومدن تسمى باسم يوم سوقها مثل سوق مليانة وثنية الأحد... حيث تعرض فيها المنتوجات المختلفة من فواكه وخضر وحبوب وحيوان وأصواف وجلود وعسل وزيت الزيتون وغير ذلك على حسب الفصول[2]. أما فيما يخص عدد أسواق مدينة الجزائر[3] التي يتم تبادل فيها السلع. وهذا ما جاءت به عائشة غطاس تصف مايلي:" ورغم شحت الأخبار في المصادر التي تحوي الموضوع، فإنها تحتوي على 41 سوقاً ذات اختصاصات متعددة، وفضلاً عن الأسواق الهامة والمتخصصة، أقيمت أسواق صغيرة سميت بالسويقة، وعادة ما تضم السويقات نشاطات متنوعة لأن الهدف من إقامتها هو تلبية حاجات الأهالي دون عناء كبير"[4].

وهناك من يقول أن عدد الأحياء التجارية، التي تحتوي على العديد من الشوارع ذات النشاطات المربحة إلى حوالي 16. وتم التعرف على ما يقارب 42 سوقاً من بين 45. غير أن المخطوط المتعلق بالأحكام القضائية المطبقة على الأسواق، يكشف عن تقسيم إداري للمنطقة التجارية إلى حوالي 9 قطاعات رئيسية[5].

وإلى جانب هذه الأسواق التي تعتبر من المرافق الحيوية والضرورية لأي دولة، وإنماء علاقاتها التجارية التي كانت تشكل عصب الحياة الاقتصادية في مجتمع مدينة الجزائر. هناك منشآت أخرى ذات طابع اقتصادي وتجاري، التي ترتبط بالمرافق العامة من عيون وحمامات وأفران وخاصة الفنادق التي يتوجه إليها المسافرون، ويحط بها التجار رحالهم ويتخذون بعض غرفها مستودعات لبضاعتهم وسلعهم. إذ تتوزع هذه الفنادق على أحياء مدينة الجزائر وكان أغلبها في مركز المدينة الواقع بين باب عزون وباب الوادي وباب

---

[1]. خديجة حالة، المرجع السابق، ص. 78.

[2]. نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 280.

[3]. لمعرفت أنواع الأسواق وعددها.(أنظر: عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص- ص. 29-31).

[4]. غائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر(1700-1830م)**، المرجع السابق، ص، ص. 259، 262.

[5]. عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص. 87.

الجزيرة، أين يتركز النشاط الاقتصادي وتنتشر الأسواق[1]. فالفنادق هي منشآت متخصصة في التجارة الكبرى، وفي البيع بالجملة، وغالباً ما تكون متخصصة في بيع مادة بعينها. وهي تتميز بتنظيم شبيه إلى حد ما بتنظيم الطوائف والحرف، وقد وجد حوالي 40 فندقاً بمدينة الجزائر. أما الرحبات فهي ساحة عامة مكشوفة مخصصة لنشاطات معينة[2].

وما يلاحظ أن النشاط الصناعي والتجاري بمدينة الجزائر في العهد العثماني، كان موجها أساسا لسد حاجيات السكان وتوفير متطلبات الجهاز الإداري، وكذلك المساهمة في التبادل مع الخارج للحصول على بعض المصنوعات الأوروبية الضرورية، لتدعيم قدرة الجزائر الحربية كالعتاد الحربي، أو التي تتطلبها الصناعات المحلية بالجزائر مثل المواد المعدنية. وفي نهاية القرن 18م هو خضوع لتحكم الاحتكارات الأجنبية وهيمنة الأقلية اليهودية، التي أصبحت تتحكم في مجمل النشاط التجاري وتؤثر على أغلب المهن الصناعية. وقد ساعدها على ذلك ارتباطها بأوروبا، وتمكنها من كسب تعاطف الحكام معها، وهذا ما أدى إلى انتشار المعاملات الربوية وأهدرت القدرات الاقتصادية للجزائر[3].

كما كانت السلطة العثمانية في الجزائر، تحتكر جزءًا من النشاطات الصناعية كصناعة السفن وسبك المدافع ومطاحن الدقيق والمحاجر. وهذه الصناعات الإستخراجية تمثل مجموعة الضروريات التي تشتد إليها قوة الإيالة، وقد أدى هذا الوضع إلى تدعيم سلطتي الداي الاقتصادية والسياسية[4].

---

[1]. عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص-ص. 31-32.

[2]. عائشة غطاس، **الحرف والحرفين بمدينة الجزائر(1700-1830م)**، المرجع السابق، ص ، ص. 270 ، 275.

[3]. عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص-ص. 34-35.

[4]ـــ توفيق دحماني، **الضرائب في الجزائر(1206-1282هـ/ 1792-1805م) دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008م، (غير منشورة)، ص 100.

-استنتاجات:

- على الرغم من العزلة التي عاشتها الفئة المسيحية داخل المجتمع الجزائري في بداية الحكم العثماني، إلاّ أنها استطاعت مع مرور الوقت أن تخلق وسطا اجتماعياً مزدوجاً ذا طابع تأثيري. وبما أن المجتمعين حافظوا على خصوصيتهما، إلاّ أنهما مع مرور الوقت حدث تأثر بالديانتين، وقد ازدادت علاقة الصداقة والأخوة بينهما المبنية على أساس التسامح. الذي ولد احتكاك لغوي، حيث نقل كل طرف لغة الآخر وأصبح يتعامل بها أثناء أحاديثهم وكتاباتهم داخل بلدانهم. إذ كان على احتكاك الفئة المسيحية بالمجتمع الجزائري أن يؤثر على العادات والتقاليد.
- لم تؤثر الفئة المسيحية على العادات والتقاليد فحسب، بل أثرت في المجال اقتصادي. الذي كان لها الدور الفعال في تطوير اقتصاد الجزائر. فمساهمتهم في الصناعة أدى إلى نقل الجزائريين للخبرة والمهارة الصناعية الأوروبية، وتطوير سفنهم وصناعاتهم. كما ساهموا في التجارة عن طريق استيراد وتصدير المواد الضرورية فقط. فقد كان التواصل في بداية الأمر يتم عن طريق وسطاء، لأن التجارة كانت احتكاراً على الحكومة. ثم أصبح مع مرور الوقت هناك تواصل مباشر بين الأهالي والمسيحيين، وذلك عندما أصبح هناك مؤسسات حكومية.

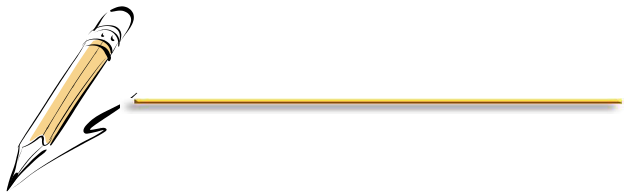

الخاتمـــــــــة

الخاتمة:

من خلال دراستي لموضوع (**المسيحيون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بالسلطة والمجتمع خلال العهد العثماني 1518-1830م**)، استخلصت النتائج التالية:

- اكتست مدينة الجزائر العثمانية أهمية كبيرة، بفضل موقعها الاستراتيجي المطل على البحر المتوسط والذي يتصل بمعظم الاتجاهات الأخرى عن طريق أبوابها. كما عرفت تركيبة سكانية متنوعة أدت بدورها إلى تنوع العلاقات فيما بينهما.
- شهدت مدينة الجزائر توافد مجموعة من المسيحيين، يتشكلون من فئة الأسرى العبيد وفئة الأحرار من القناصل والتجار ورجال الدين وبعض الرحالة المستكشفين. جاء نتيجة لدوافع عدة، فالأسرى تواجدوا بسبب الجهاد البحري الذي قام به البحار العثمانيون في السواحل الأوروبية أثناء حروبهم مع دول الأجانب. أما فئة القناصل والتجار، فالتجار تنقلوا من أجل التجارة والربح. والقناصل عينوا من أجل حماية رعاياهم، ورجال الدين الذين دفعتهم دولهم لافتداء أسراهم.
- فقد تباين عددهم من فترة إلى أخرى. بالنسبة للأسرى كان يتحكم في أعدادها طبيعة العلاقات بين الجزائر ودولهم. فالعلاقات الحسنة بينهم تؤدي إلى تناقص عدد الأسرى الأوروبيين داخل مدينة الجزائر والعكس صحيح. أما فئة الأحرار فكان عددها قليل مقارنة بالفئة الأخرى، وذلك راجع إلى طبيعة العلاقات فكلما توترت قلت حركة القناصل والتجار.
- حظي المسيحيون بحياة أفضل وبأوضاع أحسن في مدينة الجزائر. حيث تلقوا المعاملة الحسنة من طرف الحكومة وأسيادهم، حتى من طرف المجتمع. على عكس النظرة التي توصل إليها الأوروبيون في كتاباتهم بأنهم مشردون، ويعانون في حياتهم الاجتماعية، والذي أثر في ذلك العرائض والرسائل التي كتبت عن تعذيب هؤلاء الأسرى وتشريدهم. كما كانت لهم مصلحة في المبالغة حتى يكسب عطف المحسنين إليهم. إذ تمتعوا بملابس وطعام خاص بهم، ومارسوا أعمالهم كل حسب مهنته التي كان يمتهنها في بلده، إذ وصل الأسير في تلك الفترة إلى أعلى الوظائف.
- إن قضية الأسرى في تلك الفترة كان محل جدل عن حريتهم لدى دولهم. فقد تعددت جهود افتدائهم، إما عن طريق القناصل أو افتداء أنفسهم أو عن طريق المنظمات

الدينية والاتفاقيات ومعاهدات السلم. وكان للمسيحيين مرافق عامة لإيوائهم من سجون ومحاكم تحمي حقوقهم. ووجدت مستشفيات لعلاجهم وكنائس لأداء صلواتهم. أما فئة القناصل والتجار، فكان لهم الحق في اختيار المكان المناسب لإقامتها، حسب فصول السنة من منازل وفنادق.

- كان للأفراد المسيحيين امتيازات داخل حكومة الإيالة الجزائرية، إذ دخلوا في الجيش إضافة وظائف حكومية أخرى. فهذه الامتيازات التي حصلت عليها، نتج عنها عملية الجوسسة من طرف الأفراد المسيحيين، الذين تقلدوا المناصب الحساسة، وتسنوا داخل المؤسسات الإدارية لنقلهم طريقة الأداء. إذ أصبحت أغلب الدول في حالة حرب مع الجزائر. الأمر الذي قادها للجنوح إلى السلم، إذ بعثت ممثليها وقناصلها لعقد معاهدات السلام. وكانت علاقات فرنسا مع الجزائر أقوى من الدول الأخرى.
- بالرغم من الطابع الذي حافظ عليه كلا المجتمعين، من تحفظ على عاداتهم وتقاليدهم. إلا أن الاحتكاك والتعايش الذي كان بينهم بفضل تسامح الحكومة، ولد تغييرا في العادات، تأثر كل طرف في المجال الديني والثقافي والعادات والتقاليد.
- فقد اعتنق عدد كبير من المسيحيين الإسلام حينها، تذكر المصادر الأوروبية بأن مجموعة من المسلمين اعتنقت الديانة المسيحية، وهي مسألة مبالغ فيها، إذ لا توجد إحصائيات حول عدد المسلمين المعتنقين للديانة المسيحية، ويمكن اعتبارها عملية مقصودة من أجل تأكد نية التبشير من طرف البعثات الدينية.
- أما العادات والتقاليد فقد كان المسيحيون من الأسرى من لهم أصدقاء يشاركونهم احتفالاتهم. أما القناصل فكانوا يحضرون حفلات وأعياد الدايات، ويقومون بعادات اعتبرتها الدول الأوروبية إهانة لقناصلها كتقبيل يد الباشا، فسارعت دولهم للدفاع عن ترك هذا الخنوع. أما عن التأثير الغوي. في البداية كانت اللغة العربية هي السائدة، ثم خلقت لغة جديدة سمية بلغة لفرنكو (Lingua Franca)، التي أصبح يتعامل بها الفئتان خاصة في المعاملات التجارية. فتأثر المسيحيون باللغة العربية وأخذوا الكثير من مصطلحاتها في كتاباتهم إلى بلدانهم الأوروبية، في حين نجد تأثر الطرف الجزائر باللغة الأجنبية التي أصبحت تتداول في الأواسط الاجتماعية.

- وفي المجال الاقتصـــادي فقد ســـاهم المســـيحيون في تطوير الصـــناعة بدرجة كبيرة والاستفادة من الخبرة الأجنبية. وكان لهم الفضل في صنع السفن والأسلحة المتطورة، التي دافعت عن الجزائر أثناء حروبها. كما لها الفضـــل في تطوير التجارة، ففي بداية الأمر كانت التجارة محتكرة من طرف الحكومة الجزائرية، تســـير عن طريق وســـطاء من اليهود وغيرهم، لتســـــهيل مهمة التداول داخل الأســـــواق والمراكز التجارية. ولما أصـبح هناك مؤسـسـات حكومية خاصـة، ازدادت الفرصـة لاحتكاك المجتمع بالتجار المسيحيين، وأصبحوا يتداولون السلع مباشرة دون وجود وسيط.
- فالمواد التي كانت تتبادل بين التجار الجزائريين والتجار المســـــيحيين هي مواد أولية تعتمد بالدرجة الأولى على تصـدير الحبوب والزيت والدخان وريش النعام...، في حين تستورد الجزائر المواد الأولية من معاد وحديد وأسلحة...، للدفاع عن نفسها في وسط البحر المتوسط، أثناء حروبها مع دول أعدائها.

وفي النهاية، نأمل أن يكون عملي هذا مســـاهمة في خدمة البحث العلمي، وأن يكون إثراء لمن يرغب في دراســة هذا الموضــوع، أو على الأقل دفعا للتعمق في البحث والدراســة، لمن أراد ذلك.

الملاحـــــــــــــق

الملحق رقم (01)

مدينة الجزائر في القرن السابع عشر

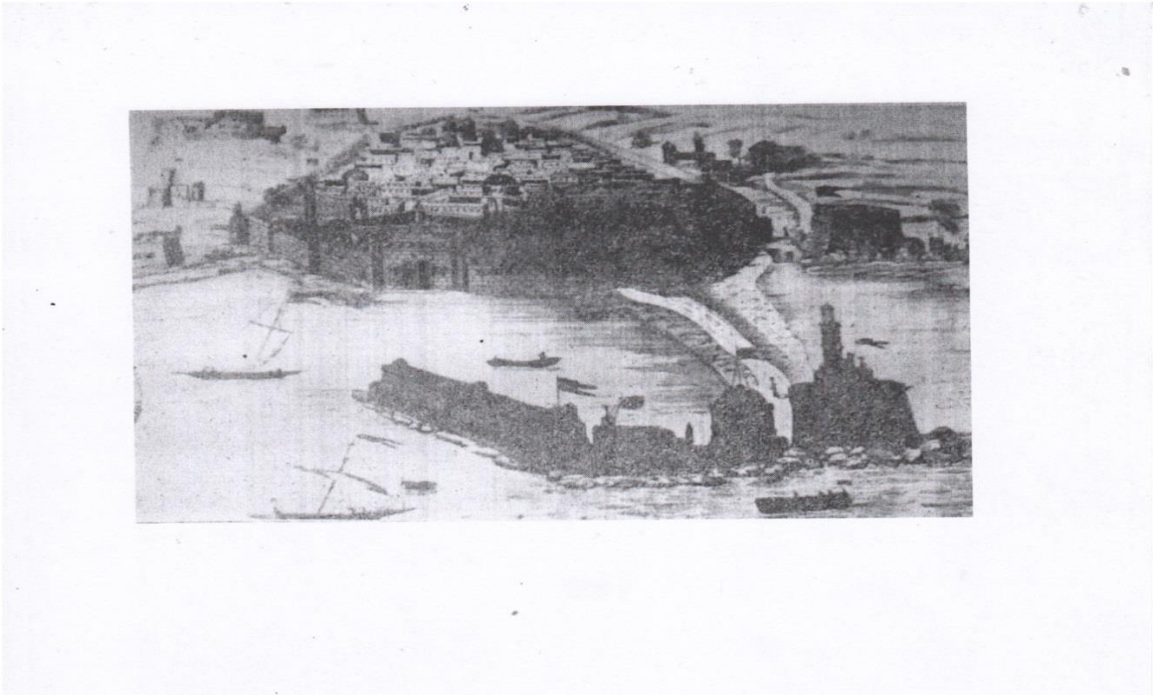

المرجع: عبد القادر حلمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، ص.222

الملحق رقم (02)

سوق النخاسة بمدينة الجزائر

المرجع: نصر الدين براهامي، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، ص.93.

الملحق رقم (03)

جدول يمثل إحصائيات الأسرى في مدينة الجزائر ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من خلال مصادر اوربية

عدد الأسرى	السنة	المصدر
2.000	1738	T. Shaw
2.000	1786-1787	Venture de Paradis
800	1788	Raynal
1.642	1816	De Grammont
122	1830	P.Rozet

المرجع: حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ص . 72.

الملحق رقم (04)

صورة تمثل لباس الأسرى

المرجع: حفيظة خشمون، **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، ص . 167.

الملحق رقم (05)

صورة تمثل لباس القنصل الهولندي

المرجع: خديجة حالة، **الجاليات الأوربية في الجزائر إبان العهـــد العثماني -1830) (1700**، ص. 131.

الملحق رقم (06)

عملية افتداء الأسرى

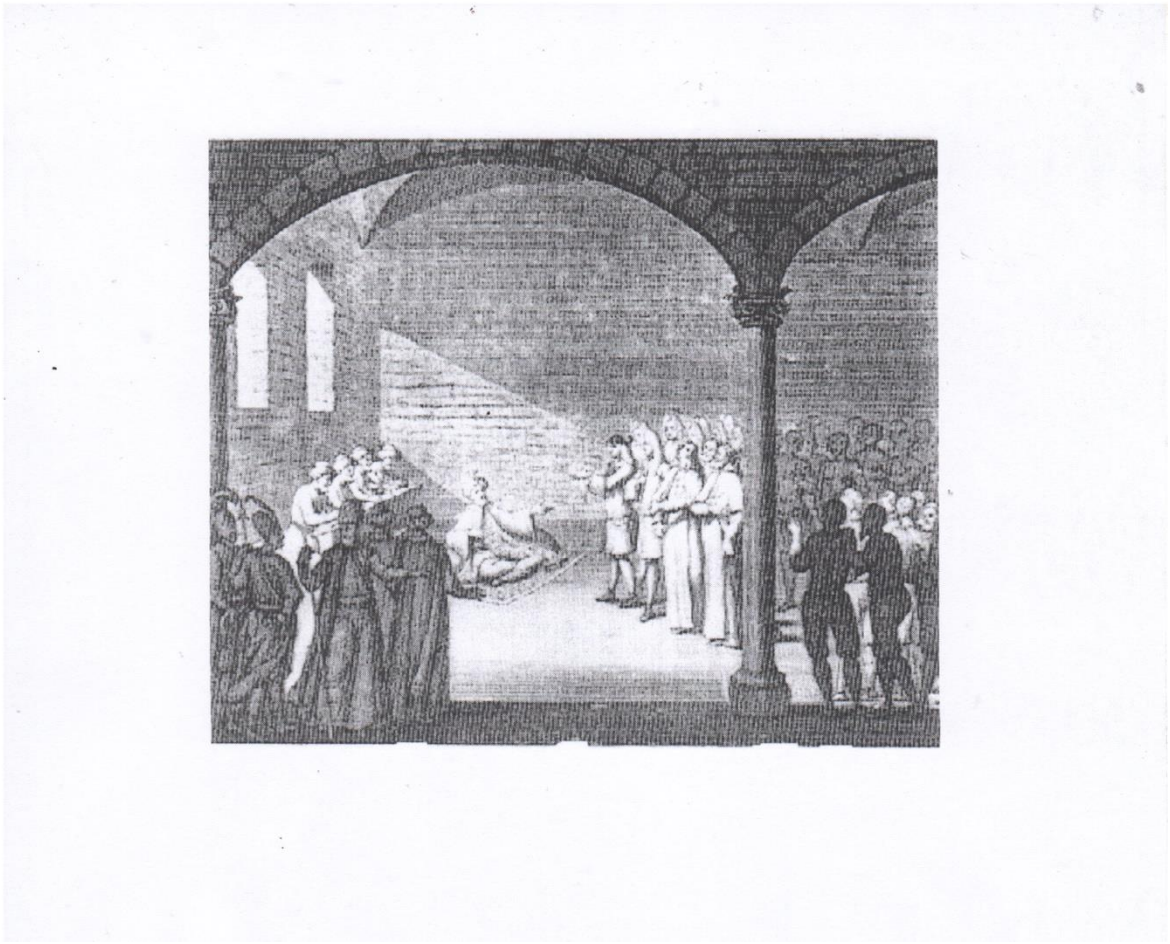

المرجع : نصر الدين براهامي، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، ص . 93.

الملحق رقم (07)

صورة تجسد أحد السجون في مدينة الجزائر

المرجع : نصر الدين براهامي، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، ص . 88.

الملحق رقم (08)

أنواع العقوبات كما صورها الأب دان

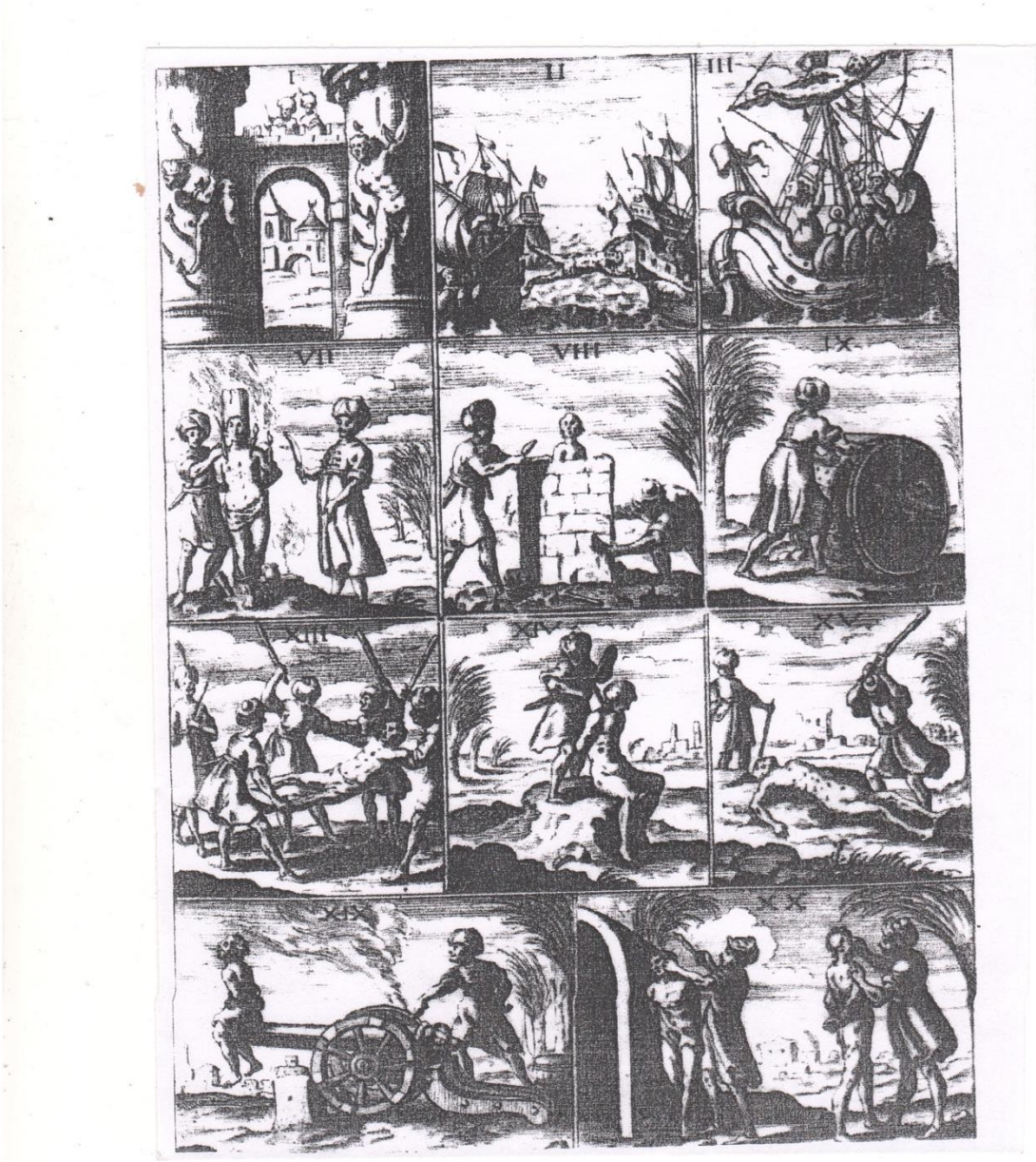

p .pierre dan, ***Histoire de la barbarie et de ses croisaires des royaumes, et des villes d'alger, de tunise, de salé, et de tripogy***, p – p, 416-417

الملحق رقم (09)

عقوبة الفلقة على احد الأسرى

latifa el hassar zegari ***, les captifs d'alger,(d'aprés larellation de Emmanuel d'arnda jadis exlave à alger XIII ème siècle)***, p 205.

الملحق رقم (10)

معاهدة 21 مارس 1619

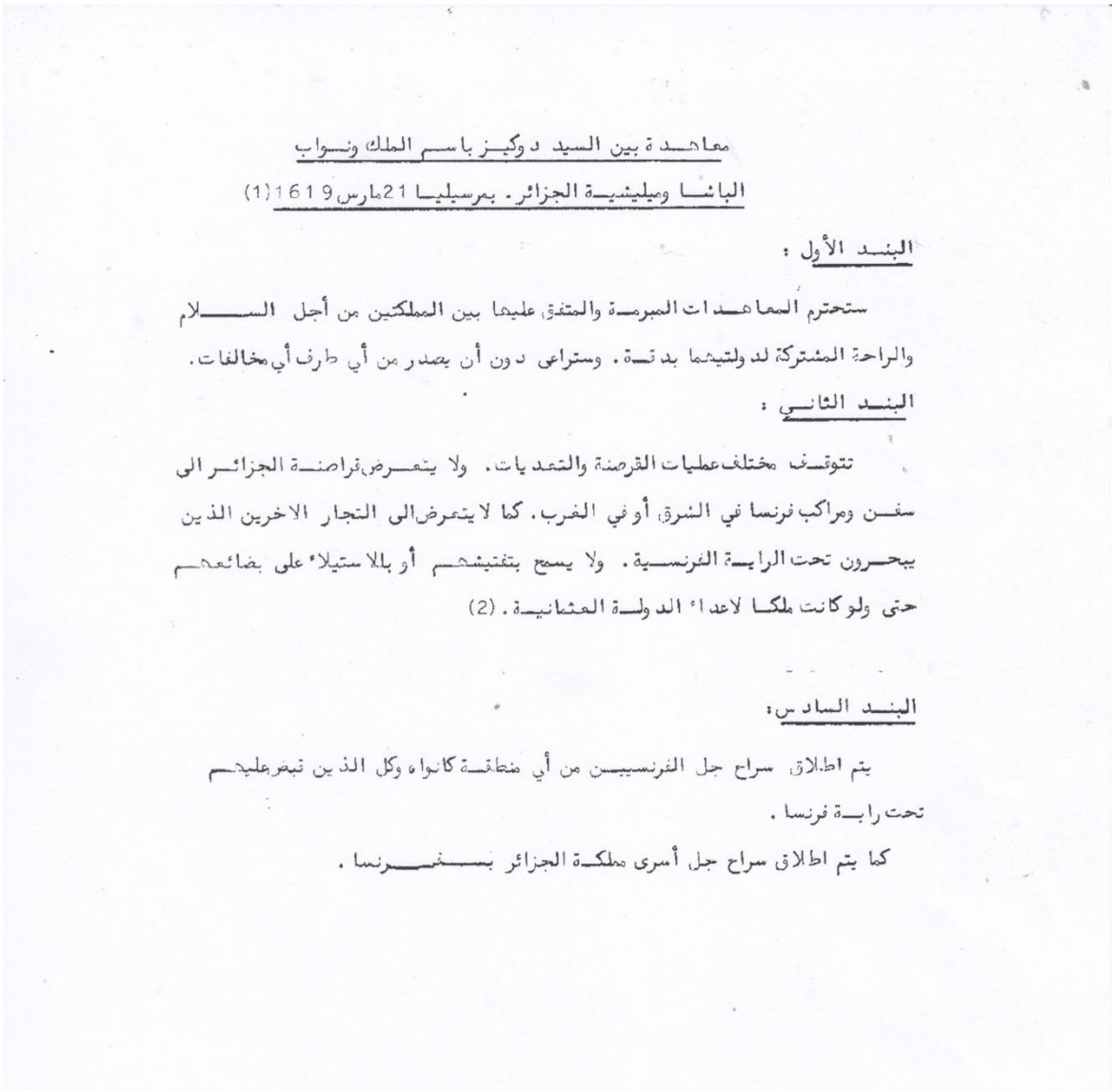

معاهـــدة بين السيد دوكيـــز باســـم الملك ونـــواب
البابنـــا وميلينيـــة الجزائر. بمرسيليـــا 21مارس1619(1)

البنـــد الأول :

ستحترم المعاهـــدات المبرمـــة والمتفق عليها بين المملكتين من أجل الســـــلام والراحة المشتركة لدولتيهما بدقـــة. وستراعى دون أن يصدر من أي طرف أي مخالفات.

البنـــد الثانـــي :

تتوقـــف مختلف عمليات القرصنة والتعديات. ولا يتعـــرض قراصنـــة الجزائـــر الى سفـــن ومراكب فرنسا في الشرق أو في الغرب. كما لا يتعرض الى التجار الاخرين الذين يبحـــرون تحت الرايـــة الفرنســـية. ولا يسمح بتفتيشهـــم أو بالاستيلاء على بضائعهـــم حتى ولو كانت ملكـــا لاعداء الدولـــة العثمانيـــة. (2)

البنـــد السادس:

يتم اطلاق سراح جل الفرنسيين من أي منطقـــة كانوا، وكل الذين تمضعليهـــم تحت رايـــة فرنسا.

كما يتم اطلاق سراح جل أسرى مملكـــة الجزائر بســـفـــرنسا.

المرجع: عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)**، ص - ص. 44-45.

الملحق رقم (11)

صورة تمثل أحد أنواع السفن بمدينة الجزائر العثمانية

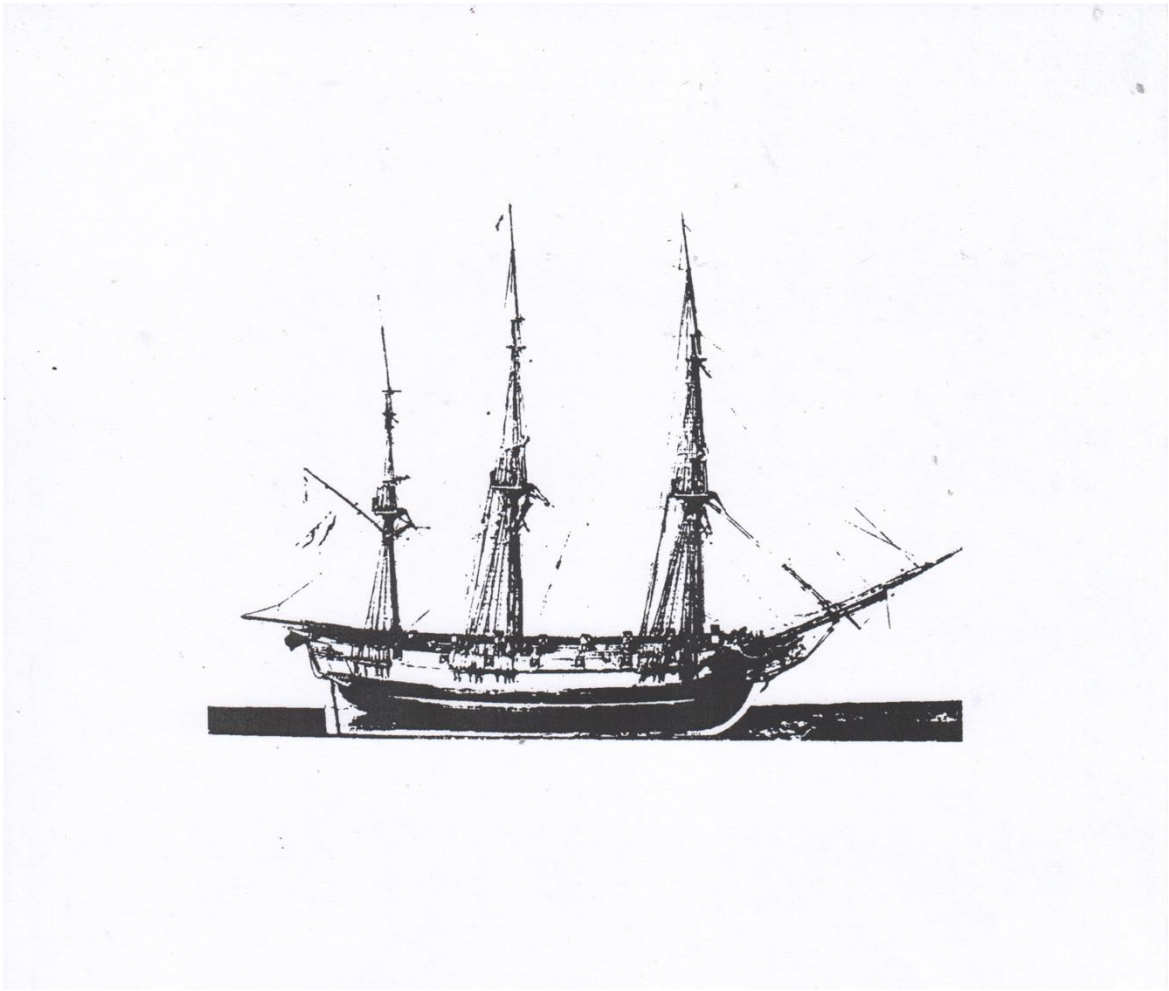

.Mouley belhamissi, ***marine et marins. D'alger 1518 -1830*** , p.201.

الملحق رقم (12)

دار الصناعة في ميناء الجزائر

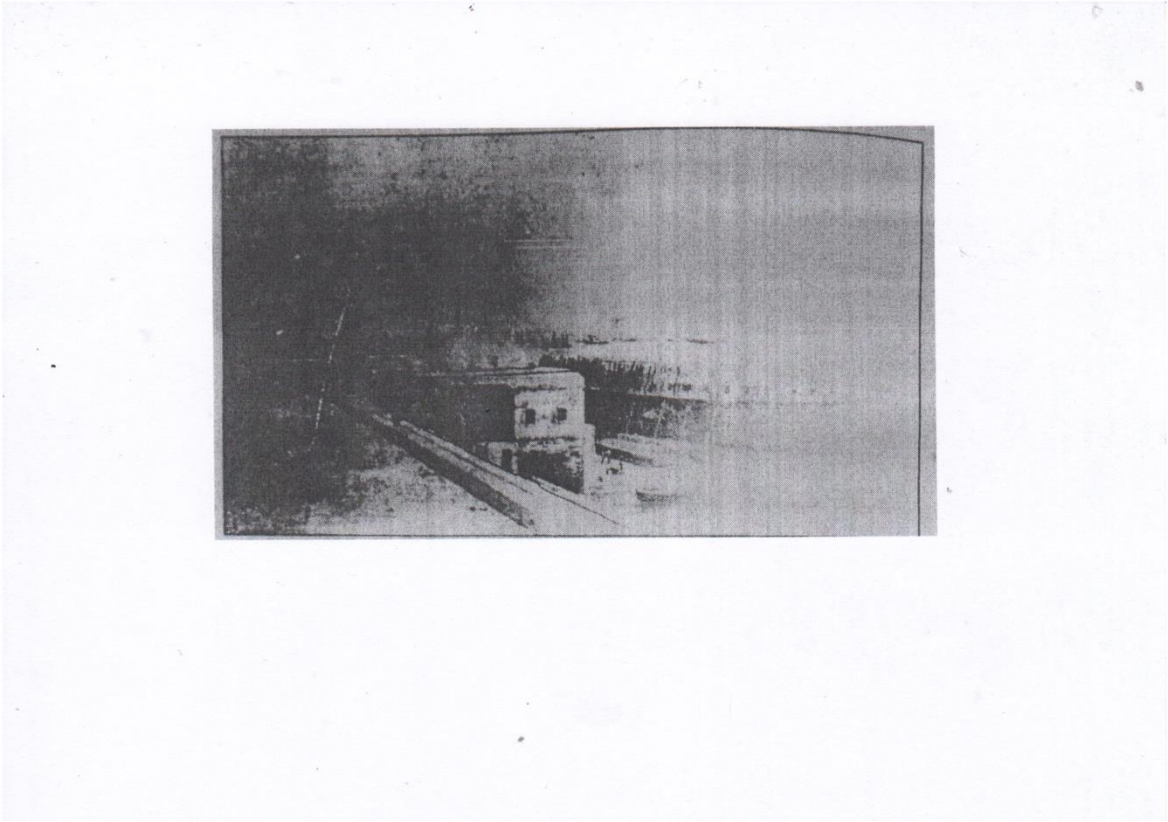

المرجع : علي خلاصي، **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، ص. 167.

الملحق رقم (13)

نماذج من المدافع التي صنعت بدار النحاس

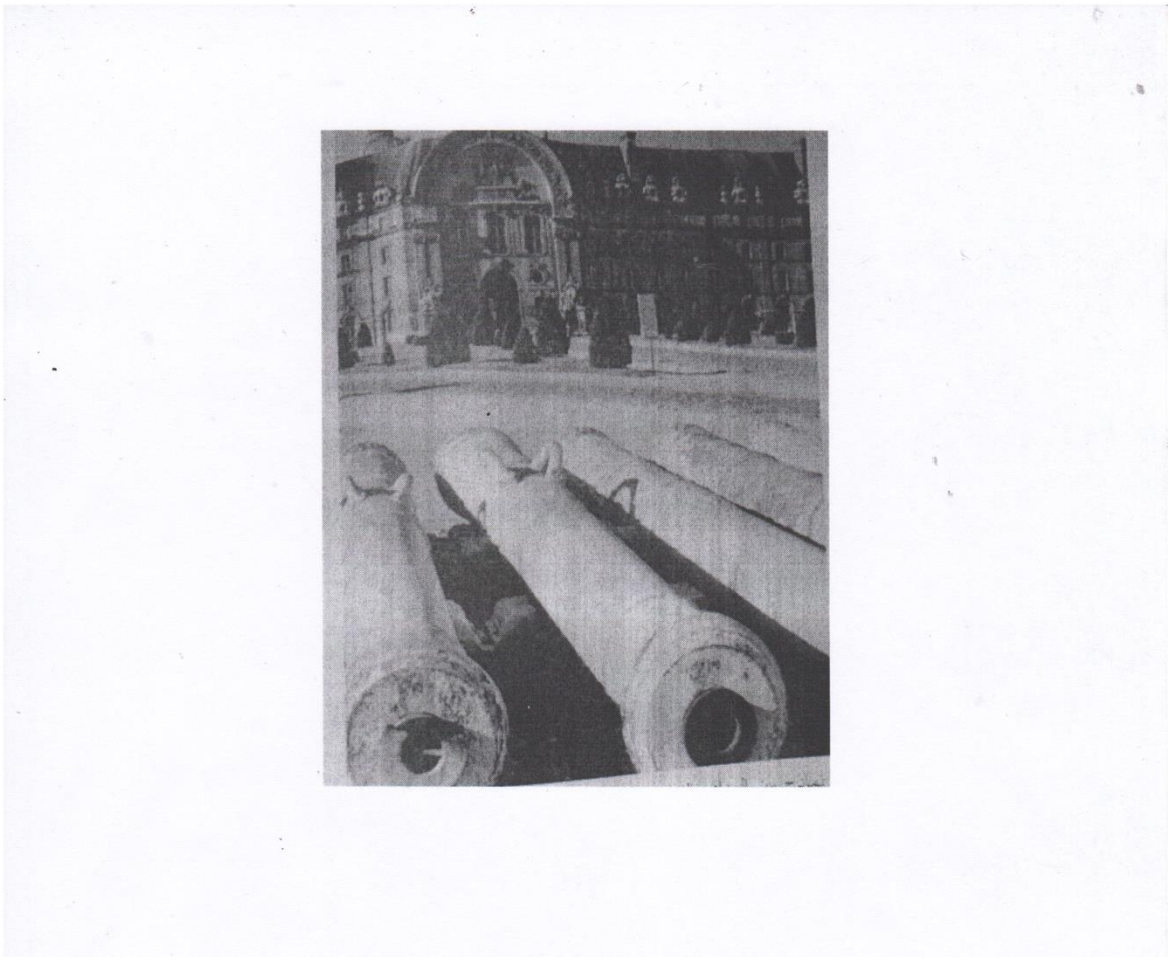

المرجع : علي خلاصي، **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، ص. 246.

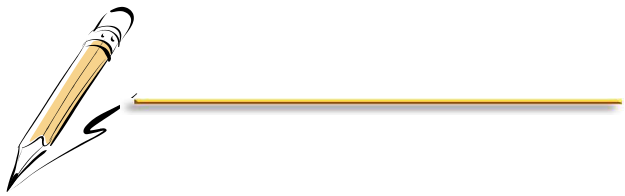

قائمة المصادر والمراجع

-قائمة المصادر والمراجع:

-المصادر:

أولاً: المصادر باللغة العربية:

1. القرآن الكريم.
2. باى (أحمد)، **مذكرات أحمد باي**، تر وتع: مارسال أمريت، د: ن، باريس، 1971م.
3. بلانتيت (أوجان)، **مراســـلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنســـا(1579-1700م)**، تر: مجموعة من المترجمين، ج: 1، دار الوعي، الجزائر، 2013م.
4. بفايفر (سيمون)، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر وتق وتع: أبو العيد دودو، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
5. التلمســـاني (محمد) بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تح: خير الدين ســعيدي الجزائري، ط: 1، دار أوراق الثقافة، الجزائر، 2017م.
6. التمقروتي (علي) بن محمد، **النفحة المســكية في الســفارة التركية**، تق وتح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م.
7. الجزائري (محمد) ميمون، **التحفة المرضــية في الدولة البكداشــية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط: 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.
8. خوجــة (حمــدان) بن عثمــان، **المرآة**، تق وتعر وتح: محمــد العربي الزبيري، منشوراتANEP، الجزائر، 2005م.
9. الزهار (أحمد شــريف)، **مذكرات الشــريف الزهار نقيب أشــراف الجزائر(1168-1246هـ/ 1754-1830م)**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974م.
10. الزياني (أبو القاســم)، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة براً وبحراً**، تح وتع: عبد الكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991م.
11. شالر (وليام)، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)**، تعر وتع وتق: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.
12. شــوفالييه (كورين)، **الثلاثون ســنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541م)**، تر: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007م.

13. الشـــويهد (عبد الله) بن محمد، **قانون أســـواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/ 1695-1705م)**، تح وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة، الجزائر، 2012م.

14. كاتكارث (جيمس) لندر، **مذكرات أسير الداي كاتكارث قنصل أمريكا في المغرب**، تر وتع وتق: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.

15. كوران (أرخميت)، **الســياســـة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنســـي للجزائر**، تر: عبد الجليل التميمي، ش.ت.ف.ر، د:م، 1970م.

16. أ. ليسـور و و.وليد، **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**، تح وتق وتع وتر: محمد جيجلي، ط: 2، دار الأمة، الجزائر، 2002م.

17. المزاري (الأغا) بن عودة، **طلوع ســعد الســعود في أخبار وهران والجزائر وإســبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح ودر: يحي بوعزيز، ج: 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

18. هـابنســـترايـت، **رحلـة العـالم الألمـاني: ج.أو.هـابنســـترايـت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/ 1732م)**، تر وتق وتع: ناصـــر الدين ســـعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د: ت.

19. ويلسـون (جيمس) سـتيفينس، **الأسـرى الأمريكان في الجزائر(1785-1795م)**، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2008م.

ثانياً: المصادر باللغة الفرنسية:

1. *Dan (P.Pierre),* ***Histoire de la barbarie et de ses corsaire. Des royaumes et des villes d'Alger, de tunis, de salé, et de tripogy****, Ed: 2, à Paris.*
2. *De Haedo (Don Diego),* ***Topographie et histoire général d'Alger****, Trad: MM. Monnreau, Ed: Au très illustre seigneur, a Valladolid, 1870 .*
3. *De Paradis (Venture),* ***Alger au XIII Siècle****, Ed: Efagnan, Alger,* 1898.
4. *De Tassy (M.r. Laugier),* ***Histoire Du royaume d'Alger****, Ed: Loysel, Paris, 1992.*

-المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

1. اعميراوي (احميدة)، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني-مذكرات تيدنا انموذجاً-**، دار الهدى، الجزائر، 2003م.

2. بوعزيز (يحي)، **المراسلات الجزائرية الأسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780-1798م)**، د.م.ج، الجزائر، 1993م.
3. ــــــــــــ، **علاقات الجزائر مع دول ومماليك أوروبا** (1500-1830م)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
4. ــــــــــــ، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج: 2، ط: 2، د.م.ج، الجزائر، 2009م.
5. بالحميسي (مولاي)، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.
6. براهامي (ناصر الدين)، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، منشورات ثالة، الجزائر، 2010م.
7. بوحوش (عمار)، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
8. بحري (أحمد)، **الجزائر في عهد الدايات-دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج: 2، ج: 3، دار الكفاية، الجزائر، 2013م.
9. تابليت (علي)، **بحوث في تاريخ الجزائر الفترة العثمانية**، ج: 1، مؤسسة ثالة، الجزائر، 2014م.
10. الجيلالي (عبد الرحمن) بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 2، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
11. ــــــــ، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 3، ج: 4، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
12. حليمي (علي عبد القادر)، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، ط: 1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
13. خلاصي (علي)، **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، ط: 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007م.
14. خياطي (مصطفى)، **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشوراتANEP، الجزائر، 2013م.
15. دودو (أبو العيد)، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855م)**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.

16. سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)**، ج: 1، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
17. ـــــــــ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج: 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
18. ـــــــــ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج: 4، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.
19. سبنسر (وليم)، **الجزائر في عهد "رياس" البحر**، تعر وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006م.
20. السليماني (أحمد)، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994م.
21. سعيدوني (ناصر الدين)، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)**، ط: 3، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2012م.
22. سعيدوني (ناصر الدين) والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-**، ج: 4، م.و.ف.م، الجزائر، 1984م.
23. سي يوسف (محمد)، **أمير أمراء الجزائر علج علي باشا**، دار الأمل، الجزائر، 2009م.
24. شويتام (أرزقي)، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية (1519-1830م)**، ط: 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016م.
25. عباد (صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)**، دار هومه، الجزائر، 2012م.
26. العسلي (بسام)، **خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470هـ/1547م**، ط: 1، دار النفائس، بيروت، 1980م.
27. العقاد (صلاح)، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**. الجزائر.تونس.المغرب الأقصى، ط: 6، مكتبة الأنجلو، مصر، 1993م.28
28. عمورة (عمار)، **الجزائر بوابة التاريخ-ما قبل التاريخ إلى 1962م**، ج: 2، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
29. غطاس (عائشة)، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، م.و.م، الجزائر، 2007م.

30. فارس (محمد خير)، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح إلى الاحتلال الفرنسي**، ط: 1، د: ن، دمشق، 1969م.

31. فركوس (صالح)، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

32. ـــــــــ، **مختصر حضارات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

33. قنان (جمال)، **قضـــايا ودراســـات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصـــر**، م.م.و.م، الجزائر، 1994م.

34. ـ، **العلاقات الفرنسية الجزائرية(1790-1830م)**، م.و.إ.ن.ت، الجزائر، 2005م.

35. ـــــــــــــ، **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619-1830م)**، م.و.ن.إ، الجزائر، 2007م.

36. ـــــــــ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م.

37. المحامي (فريد بك)، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحســـان حقي، ط: 1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

38. المـدني (أحمـد توفيق)، **محمـد عثمـان بـاشـــا داي الجزائر(1766-1791م) ســـيرتـه.حروبـه.أعمالـه.نظام الدولـة.الحيـاة العامـة في عهده**، م.و.ك، الجزائر، 1986م.

39. ـــــــــ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792م)**، ط: 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

40. مروش (لمنور)، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة.الأساطيل.والواقع**، ج: 2، دار القصبة، الجزائر، 2009م.

41. نور الدين (عبد القادر)، **صـــفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصـــورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

42. نايت بلقاســم (مولود قاســم)، **شــخصــية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل ســنة 1830م**، ج: 1، ج: 2، ط: 2، دار الأمة، الجزائر، 2007م.

43. هلايلي (حنيفي)، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، 2007م.

44. ـــــــــ، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط: 1، دار الهدى، الجزائر، 2008م.

45. وولف (ب.جون)، **الجزائر وأوروبا (1500-1830)**، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2009م.

ثانياً: المراجع باللغة الفرنسية:

1. *Belhamissi (Moulay), **Marine et Marins D'Alger 1518-1830**, T: 1, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996.*
2. ***Zeghari (**Latifa El Hassar), **Les Captifs d'Alger (d'après La relation de Emmanuel d'Aranda Jadis esclave à Alger XIII ème siècle)**, Ed: casbah, Alger, 2004.*

-الدوريات:

1. بوشنافي (محمد)، "تجنبد المتطوعين للجيش الإنكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق"، **مجلة العصور الجديدة**، ع: 13، أبريل 2014.
2. حمادي (عبد الله)، "جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان"، **مجلة المصادر**، ع: 6، مارس 2002م.
3. دباب (بومدين)، " المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج: 9، ع: 1، جوان 2018م.
4. درعي (فاطمة)، "أعضاء البعثات الدبلوماسية الأوروبية في الجزائرفي الجزائر خلال العهد العثماني وحصانتهم"، **مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخة**، مج: 9، ع: 1، جوان 2018م.
5. سبتي (محمد)، "الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية (1588-1699م)"، **جسور المعرفة**، مج: 6، ع: 1، مارس 2020م.
6. سعيدوني (ناصر الدين)، "مخطوط-قانون أسواق مدينة الجزائر-لعبد الله محمد بن الحاج الشويحات"، **حوليات جامعة الجزائر**، مج: 5، ع: 1، الجزائر، د: ت.

7. ـــــــــــ، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية – الجزائر–تونس–طرابلس الغرب–من القرن العاشر إلى الرابع عشر من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي"، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، ع: 31، د: م، 2010م.
8. سعيود (ابراهيم)، "جهود الكنيسة البابويةفي تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني–مقاربة تاريخية–"، **الحوار المتوسطي**، ع: 15 و16، د: م، مارس 2017م.
9. صحراوي (عبد القادر)، "الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق"، **الحوار المتوسطي**، ع: 1، الجزائر، د: ت.
10. غطاس (عائشة)، "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة الثقافة**، ع: 76، الجزائر، 1983م.
11. ـــــــــــــــ ،"أول حلقة في العلاقات الجزائرية الدنماركية معاهدة 22 رجب 1159هـ/10 أوت 1746م"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع: 3، الجزائر، 1987م.
12. فكاير (عبد القادر)، "علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية"، **مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، ع: 1، د: م، جانفي _ديسمبر 2007م.
13. قرباش (بلقاسم)، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830م)"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع: 1، الجزائر، ديسمبر 2013م.
14. لزغم (فوزية)، "الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني"، **عصور**، ع: 21، جامعة وهران، جويلية _ديسمبر 2013م.
15. هلايلي (حنيفي)، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الأسبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، ع: 4، الجزائر، د: ت.
16. ـــــــ، "الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع: 25، تونس، أوت 2002م.

-الرسائل الجامعية:

1. بليل (رحمونة)، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية(1564-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010-2011م، (غير منشورة).
2. بن سعيدان (محمد)، **التطورات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/ 17م**، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018 - 2019م، (غير منشورة).
3. حالة (خديجة)، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700-1830م)**، رسالة الماجستير، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2012-2013م، (غير منشورة).
4. حماش (خليفة)، **الأسرة في مدينة الجزائر(1700-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتورة، قسنطينة، 2005-2006م، (غير منشورة).
5. خشمون (حفيظة)، **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، رسالة ماجستير، جامعة منتورة، قسنطينة، 2006-2007م، (غير منشورة).
6. دحماني (توفيق)، **الضرائب في الجزائر (1282-1282هـ/ 1792-1865م) _دراسة مقاربة_**، أطروحة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008م، (غير منشورة).
7. شويتام (أرزقي)، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006م، (غير منشورة).
8. العمري (فاتح)، **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة**، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، 2016-2017م، (غير منشورة).
9. غطاس (عائشة)، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1984-1985م، (غير منشورة).
10. ـــــــــ، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر(1700-1830م) مقاربة اجتماعية-اقتصادية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م، (غير منشورة).

11. قرباش (بلقاســـم)، **الأســـرى الأوروبيون في الجزائر خلال العهد العثماني(1671-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفي اسطنبولي، معسكر، 2015-2016م، (غير منشورة).
12. محرز (أمين)، **الجزائر في عهد الأغوات(1659-1671م)**، رســـالة ماجســـتير، جامعة الجزائر، 2007-2008م، (غير منشورة).

-المعاجم والموسوعات:

1. البعلجي (منير)، **معجم أعلام الموارد**، إع: رمزي البعلجي، ط: 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.
2. صابان (سهيل)، **معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية**، ط: 1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، السعودية، 2005م.
3. وهمان (محمد أحمد)، **معجم الألفاظ التاريخية في العصـــر المملوكي**، ط: 1، دار الفكر، دمشق، 1990م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

إهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة 01

المدخل

أهمية مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

-الموقع الاستراتيجي لمدينة الجزائر 05

-التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر 07

الفصل الأول

المسيحيون وحياتهم الاجتماعية بمدينة الجزائر

المبحث الأول: التعريف بالفئات المسيحية 13

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية للمسيحين 19

المبحث الثالث: مرافق إقامة المسيحين بمدينة الجزائر 37

الفصل الثاني

علاقة المسيحين بالسلطة خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الوظائف الحكومية للأسرى المسيحين 56

المبحث الثاني: الجوسسة 62

المبحث الثالث: التمثيل الدبلوماسي..... 69

الفصل الثالث

علاقة المسيحين بمجتمع مدينة الجزائر العثمانية

المبحث الأول: اسهامات المسيحين في الجانب الديني الثقافي..... 82
المبحث الثاني: اسهامات المسيحين في المجال الاقتصادي..... 89
خاتمة..... 102
الملاحق..... 106
قائمة المصادر والمراجع..... 120
فهرس المحتويات..... 130
ملخص الدراسة

الملخص:

الكلمات المفتاحية: المسيحيون، مدينة الجزائر، علاقات، سلطة، مجتمع، الفترة العثمانية (1518-1930م).

-تعتبر مدينة الجزائر من أهم المدن الساحلية للجزائر العثمانية إذ تتمتع بموقع استراتيجي هام، مطل على البحر المتوسط من معظم الجهات، في حين تتصل بالمدن الأخرى المجاورة لها، شهدت تركيبة سكانية متنوعة طيلة الفترة العثمانية للجزائر منها: فئة المسيحيون كان لها الدور الفعال في تطوير المجال الاقتصادي. والموضوع المعالج تحت عنوان:

المسيحيون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بالسلطة والمجتمع خلال العهد العثماني (1518-1830م)، أدرج ضمنه الإشكالية المطروحة: سادرس في بحثي علاقة تأثير وتأثر المسيحيين بالسلطة والمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني. هل أثر تواجد المسيحيين في مدينة الجزائر سلباً أم إيجاباً على السلطة والمجتمع؟ وما هي أثار معاملة السلطة والمجتمع الجزائري على المسيحيين؟

-شهدت مدينة الجزائر إبان الفترة العثمانية (1518-1830م) جماعة من المسيحيين جاءوا لأسباب عدة تراوحت بين السياسية والاقتصادية، عرفوا حياة اجتماعية أفضل في أوضاع أحسن-غير أن قضية الأسرى كانت محل جدل، حيث اهتمت بهم بلدانهم من أجل انتدابهم للحصول على حريتهم، كما توفرت لهم مرافق تأويهم وتحمي حقوقهم الصحية والعقائدية.

-ظلت علاقتهم بالسلطة على شق من التعاون، إذ وصل بعضهم إلى أعلى المراتب في الحكم، وتصدر أفضل المقاعد في الدولة. بفضلهم عرفت الجزائر علاقات دبلوماسية جزائرية أوربية إذ لعبت الدور السياسي الخطير، وتسللت إلى دراسة المنطقة من الناحية السيميولوجية والجغرافية ليتمكنوا من عملية التجسس لصالح بلدانهم -لأنهم كانوا عيون أوربا بالجزائر، والحصول على معلومات أوفر لتسهيل عملية الاحتلال.

-ففي البداية كان المسيحيون يعيشون نوعا من العزلة ثم بدأ بالانصهار تدريجيا داخل المجتمع الجزائري، إذ يظهر من خلال اعتناق المسيحين للدين الإسلامي، وذلك يعود إلى التسامح الديني القائم في الإيالة الجزائرية، وعلى الرغم من أنها حافظت على نسقها وخصوصياتها، إلا أنها عرفت مجتمع اثني ضاعت في وجود علاقة صداقة وأخوة متأثر بالعادات والتقاليد. أما في المنحى الثقافي تركت فئة المسيحين أثرها اللغوي على أهل البلاد، وحملت معها تأثيرات لغوية لبلدانها الأوربية، وهذا يدل على احتكاكهم بالدرجة الأولى في تعاملاتهم الصناعية والتجارية بمدينة الجزائر.

Summary:

***Key words**: Christians, the regency of Algiers, relations, ponter, society, the Ottoman period (1518-1930).*

-The regency of Algiers was considered as one of the most important provinces of Ottoman. Empire ; due to is strategic location as aport city with access to both europe and Middel East.

During this period, the Algerian society was mad of many ethnic groups suchas : muslims, jeuos and christions. I nour Present studay , we shed light on the life conditions of

Christions at that period. To reach our olyectives, this work tends to examine two major questions ? In my research, I will studay the relation ship of the christian influence with the Algerian government and socity during the ottomanera , has the presence of christians in the city of Algeria negativety or positively affected pawer and socity ? what are the effects of the treatment of the authority and the Algerian society on christians ?

- Christions livrd in sesurity and sofety in the regency of algiers. Theu had the right in education. Medecal case and religons practice. They had also their special cultural institutions to the extent thay many of them were able to reach the most prestigions position in the regency. All this helped to improve the ottoman. European diplomatic relations.

How ever, it wasn't in the favor of the regency of Algiers that christians could reachs hight political. Positions, as they were to study the secrets of the state, its stengths and weakmesses pointsand to transfer political and sociological information to their countries of origin. They were ihe spies who pove the way to the french occupation.

At first, christians were living in a kind of isolation but soon they began to integrate into the society and become.

This some of them converted to Islam while others kept their own religion laking advantage of the freedom and security threy were living in.

تم بحمد الله